السنة الثالثة عشرة   العدد ٩   ايلول   سنة ١٩١٠

المشرق

معبد سيدة التعزية في تعنائل

لحضرة الاب اسكندر توران اليسوعي

اذا ركب المسافر قطار السكّة الحديديّة من بيروت الى الشام وقطع حزون لبنان وبطونهُ فتجاوز آكام صوفر مارًّا بالاسراب المثقوبة هناك لا يلبث ان يُشرف على مناظر فتّانة تأخذ بمجامع الابصار فيرى عيانًا عند الأُفق سلسلة الجبل الشرقي ينتصب في جنوبها جبل حرمون كأنّهُ شيخ جليل يعتمّ بثلوجهِ الغرّاء وينطح بقرنهِ عنان السماء ثم يكشف نظرهُ شرقًا على رُبى متباينة العلوّ في وسطها بقايا مدينة عاديّة اشتهرت قديمًا بمدينة الشمس وتُعرف اليوم ببعلبك فيها من الآثار الخطيرة ما تحير لهُ الالباب وحولها الحدائق الغنّاء ذات الاثمار الطيّبة . واذا انحدر بهِ القطار على منعطف لبنان قرّت عينهُ بمشاهدة بطاح فسيحة تغطيها كل صباح الابخرة المتصاعدة من مجاريها المائية ألا وهي سهول البقاع الشهيرة بخصبها

البقاع عبارة عن وادٍ متّسع موقعهُ بين سلسلتي لبنان والجبل الشرقيّ الموازي لهُ عدّهُ كلاهما بمياههِ المنصبّة على معاطنهِ فيرويهِ ويغنيهِ بالغلّات الطائلة . وقد عرف القدماء هذا الوادي فدعوهُ بسوريّة المجوّفة (Cœlésyrie) واشاروا الى عمرانهِ . ولعلّ خصبهُ بلغ في عهدهم من الغنى والثروة ما لم تعهد لهُ شبهًا الاجيال التابعة . فهناك كانت مدن زاهرة كبعلبك شمالًا والنجر او كلسيس لبنان جنوبًا . وهناك قامت مزارع القمح على ساق فيقتات منها الاهلون ويمتار منها الرومان لعاصمة القياصرة حتى دُعيت سهول البقاع بأهراء رومية

ففي تلك الصحراء عند سفح جبال أمانة وصنّين في بقعة تُدعى تعنائل في معبد

مجاور لدير يسكنهُ الرهبان اليسوعيُّون تُكرَّم صورة عجائبيَّة للعذراء مريم تُعرف بسيدة التعزية. وتاريخ هذه الصورة مرتبط بتاريخ الدير فنبدأ بذكر هذا ثم نردفهُ باخبار الصورة المقدَّسة فنقول:

كانت ارض تعنايل قبل خمسين سنةً ارضاً بوراً مُهملة لا تكاد مع خصبها تأتي بثمار. فلمَّا كانت السنة ١٨٦٠ وجرى في الشام ما جرى من الأحداث الفاجعة التي اخترمت بالموت العدد العديد من نصارى لبنان وفي جملتهم خمسة من رهبان الجمعيَّة اليسوعية في زحلة ودير القمر توفَّر عدد اليتامى الذين لحقوا في الدقماء واصبحوا فريسة الفقر يتضوَّرون من الجوع. فقام الآباء اليسوعيين بهمَّتهم المألوفة وجمعوا من اولئك البائسين نحو الثلاثمائة ففرَّقوهم على اديرتهم في بيروت وبكفيا ومعلَّقة زحلة ثم مدُّوا ايدي الاستعطاء. فكل المحسنين في فرنسة فنالوا من كرمهم ما سدَّ عوز المنكوبين لمدَّة. ثم سعت الدولة الفرنسويَّة لدى الحكومة العثمانية وطلب نابوليون الثالث من الباب العالي تعويضات تدفع لعموم المصابين بتلك الدواهي الدهياء. فكان من جملة ما نالتهُ فرنسة قطعة من الارض واسعة الافناء موقعها جنوبي طريق الشام القديمة وشمالي طريق العربات التي كانت شركة فرنسويَّة باشرت في فتحها. وكانت تلك الارض كما يشهد عليه الشيوخ تغمرها المياه المستنقعة كثيرة الاوبئة والحميات الَّا انَّها كانت تستطيع ان تتحوَّل بالشغل والعناية الى املاكٍ عامرة مخصبة. فتلك الارض سلَّمتها فرنسة الى الآباء اليسوعيين ليس بصفة مالك بل على سبيل التمتُّع والاستثمار ليقوموا باعمالهم الخيريَّة وتربية اليتامى وتعويضاً عمَّا فقدوهُ بالنهب والحريق

فهناك حلَّ الآباء اليسوعيُّون وباشروا باعمال الحراثة ليعيدوا لتلك الجهات شيئاً من رونقها القديم. وكانوا مع اجتهادهم في تحسين التربة يسعون ايضاً في خدمة اهل القرى المجاورة وارشادهم وتزويدهم بالاسرار المقدَّسة

وكانوا في اثناء الامر يدوّنون ما يعثرون عليه من التقاليد القديمة والآثار التاريخيَّة المثبتة بخواص البقاع. وقد جمع فقيــد العلم المرحوم الاب جارس مرتين في تاريخ لبنان كثيراً من التقاليد الراقية الى عهد البشر الاوَّلين فمن ذلك زعمُ العرب انَّ نوحاً بعد الطوفان سكن البقاع وغرس الكرمة ويجاوان مدفنهُ في الكرك قريباً من معلَّقة زحلة. وهذا التقليد قد ذكره في القرن الثالث عشر ياقوت في معجم البلدان (٤: ٢٦٢) فقال:

«الكرك قرية كبيرة قرب بعلبك بها قبر طويل يزعم اهل تلك النواحي انه قبر نوح عم». وقد روى سيّاح الفرنج مثل هذا القول في رحلاتهم (تاريخ لبنان ص ١٦٩–١٧٤). ومن المحتمل ان الكرمة نُصبت في هذه الجهات منذ سالف الازمنة وغابر القرون فزكا زرعُها ونمت واتت بتلك الخمر اللبنانيّة التي اطرأها غير مرّة الكتاب الكريم. وليست عناقيد العنب المنقوشة في جدران هيكل بعلبك سوى اشارة الى شيوع الكروم في جهات البقاع. وهكذا تأوّل بعض المستشرقين اسم «كاره» وهي ارضٌ على جانب سكّة الحديد بين المعلّقة وسعدنايل للآباء اليسوعيين فيها كروم نامية فاشتقّ هذا الاسم من الآرامية «ܟܪܡܐ» ومعناها الخصب والريع دلالةً على ما كان فيها من مزارع الجفنة

ومما زاد الرهبان اليسوعيين رغبةً في سكنى البقاع انّ الانجيل الطاهر يشير الى مرور السيد المسيح في سهولها كما رجّح الامر حضرة الاب القرد دوران في خطبة القاها سنة ١٩٠٨ في نادي كليّة القديس يوسف عن رحلة السيد المسيح الى فينيقية فاثبتها المشرق في بعض اعدادهِ (١١: ٨١–٩٢) قال الخطيب (في الصفحة ٨٧): انّ السيد المسيح بعد مرورهِ في تخوم صور وصيدا كما روى القديس مرقس (٧: ٣١) توجّه الى تخوم المدن العشر. فيتبادر الى الفهم انهُ لم يرجع القهقرى بل سار وتلامذتهُ توًّا الى تلك الجهات وكانت اقرب طريق الى المدن العشر ان يجتاز لبنان فيقطع البقاع مارًّا بطريق سهلة كانت تمتدُّ حول الجبل الشرقي الى بانياس او بالحري من جهة الشمال بطريق معتزلة كانت تمرُّ في راشيا الى قطنة

فيسرُّنا نحن اهل تمنائل ان نتصوَّر السيّد المسيح على موجب هذا الرأي منحدرًا من مشارف لبنان في طريقٍ اعتادها الاعلون منذ قرون عديدة فبارك بسيرهِ جهات البقاع التي حظينا بسكناها. وهي الطريق التي يسلكها المشاة والمكارون حتى يومنا ولم تعفِ آثارها سكّةُ العربات والسكّة الحديديّة فتراها تتحدَّر على معاطف لبنان مارّةً في قريتي المريجات ومكسة حتى تبلغ سهل البقاع فتسيرِ على جوار ارض تمنائل وتحدُّها جنوبًا كما جاء في الفرمان الشاهاني المعطى للدولة الفرنسويّة ثم تسير الى المرج وتقطع نهر الليطاني في عبرهِ عند قرية استبل ومنهُ تتّجه الى الجبل الشرقي

انّ القول بمرور السيّد المسيح في البقاع رأي راجح لا يمكنّا أن نقطع بصحّتهِ وانّما يفيد المؤمنين تُقى وتعزيةً. ومما لا يختلف فيه اثنان انّ هذه الجبال التي تُحدق بمعبد

السيّدة هي جبال تكرّر ذكرها في الاسفار المقدّسة فينتصب من عن جنوبهِ جبل حرمون الذي يترنّم مع تابور لاسم الربّ (مز ٨٨ : ١٣) وعلى شمالهِ جبل سنير او صنّين وفي غربهِ جبل امانة وكلاهما قريب من ارض تعنائل . فكأنّ سليمان الحكيم كان يسرّح بنظرهِ في مشاهد هذه الجبال الثلاثة اذ كان يحرّر سفر نشيد الانشاد . والحق يقال انَّهُ ليس من مكان اوفق لاستجلاء محاسنها فبعد ان اطرأ جمال عروسهِ الرمزيّة بقوله (نش ٤ : ٧) : « كلُّكِ جميلة يا خليلتي ولا عيب فيك » اردف بقولهِ داعياً لها الى العزّ والمجد : « هلمّي معي من لبنان فتُكلَّلي . . . انظري من رأس أمانة من رأس سنير وحرمون » . فكأنَّ النبيّ شبَّه طهر عروس الروح القدس بالثلوج الغرّاء التي تكسو هذه الجبال وكأنَّ قمم هذه الاطواد تذكّرهُ بالآكام الدهريّة التي يدعو اليها خليلتهُ لترتفع فوق السفليّات والمساكن الارضيّة فتُكلَّل بالمجد

تلك هي المواطن التي تلطّفت ملكة السماء فاجتبتها لتتجلّى لعبّادها وتدرّ عليهم بسوابغ نعمها تحت اسم سيّدة التعزية في كنيسة بهيّة خطيرة البناء . شيّدها منذ سنين قليلة احد رؤساء دير تعنائل فرسم هندستها بنفسهِ واهتمَّ ببنائها وابدع في نقشها وزينتها وبعد ان كان مقام البتول في معبد صغير لا يكفي لعدد الزوّار اضحى اليوم مزاراً لفئات من نصارى القرى المجاورة ومدنها كبعلبك وزحلة يتناوبون في زيارة هذا المشهد الجليل بينهم الشيوخ والشبّان . النساء والاحداث . الفقراء واهل الثروة يأتون الى معبد السيّدة طوراً ليشكروها على نعمةٍ اسبغتها عليهم روحاً او جسماً وطوراً يحجّون اليها ليستمدّوا بركاتها ويلتمسوا من قضايا عارفة جديدة فتراهم يخرّون ساجدين على اقدام السيّدة مستحرّين بالصلاة امام صورتها العجائبيّة التي انثنت الى جبينهم لتغدقهم بكارمها بعد ان سكبت على بلاد غيرها سجال نعمها كما سترى في تاريخها الآتي

*

في اواسط القرن التاسع عشر كان الطيّب الذكر السيّد دوبوش (Mgr Dupuch) اوّل اساقفة مدينة الجزائر عهد الى آباء الرهبانيّة اليسوعيّة إدارة مياتم ابرشيّتهِ لأنَّ الدولة الفرنسويّة كانت قد استولت على تلك الاقطار فرأت أنّ افضل طريقة لاستعمارها ان يُرسل اليها اللقطاء والمتيتّمون من احداث فرنسة ليتخرّجوا منذ نعومة اظفارهم في اشغال الحراثة وضروب الصنائع حتى اذا بلغوا سنّ الشباب يقطعونهم

الإقطاعات فيقومون باعمال الزراعة والفلاحة وينتفعون بغلّات تلك الاراضي المهملة بدلًا من ان يعيشوا في فرنسة في الفقر واجتناء الجنايات . فاجاب الاسقف الجليل الى دعوة الحكومة الفرنسوية ورأى في اليسوعيين قوماً اهلاً لهذا العمل محنّكين في اعمال التربية لا يسأمون من مشاقّها واتعابها ويتفانون في نجاحها فوكل اليهم تخريج اولئك اليتامى وتهذيبهم بالآداب فما خاب فيهم ظنّهُ

ومما عُني بهِ رئيس الرهبان انهُ ابتاع سنة ١٨٥٠ ارضاً واسعة الارجاء واقعة في املاك احدى القبائل المجاورة للجزائر تشبه كل الشبه ارض تمنائل قبل فلاحتها بكثرة مستنقعاتها وهوائها الوبيّ وما يغطيها من القصب والاعشاب الباطلة حتى ظنّ كثيرون انها لا تصلح للزراعة وشكّوا في نجاح الرهبان وتحسين تلك البقاع بالفلاحة . غير ان اليسوعيين كانوا وضعوا رجاءهم على الله فلم يستسلموا الى الفشل وباشروا بالعمل رغماً عن العوائق التي كانت تحول دون عزيمتهم فلم تخب آمالهم

وكان بين الرهبان الذين دعاهم الرئيس الى تدبير الشغل اخٌ مساعد يُدعى فافيرو (Fr. Favero) اصلهُ من مقاطعة بيامنتي من اعمال ايطالية وكان اهل الثورة طردوهُ من ديرهِ مع بقيّة اليسوعيين فجاء الى الجزائر لخدمة الرسالة . وكان المذكور رجلًا همامًا شديد العزم ثبت الجنان لا تثني همّتهُ الموانع فلبّى دعوة رؤسائهِ بكل طيبة خاطر لكنّهُ اشترط عليهم شرطين احدهما ان يسمحوا لهُ بأن يأتي من طورينو وطنهِ برسم صورة عجائبيّة كان متعبّدًا لها منذ حداثة سنّهِ تدعى سيدة التعزية . والآخر ان يُطلق على الارض التي حاولوا فلاحتها اسم « ارض التعزية » اشارةً الى صورة العذراء . فما كان من الرؤساء الّا ان اجابوا الى طلبتهِ بطيب الخاطر ومدحوا حُسن عبادتهِ

وان سألت ما اصل تلك الصورة ولاي سبب أُطلق عليها اسم سيدة التعزية فنجيب انها مُكرَّمة في مدينة طورينو منذ القرون الوسطى فاشتهرت هناك بعجائبها التي زادت فيها ثقة المؤمنين فكانوا يقبلون اليها من نواحي ايطالية ليستشفعوا بها ويلتمسوا بركاتها . وممن اكرموا هذه الصورة الاكرام الخاصّ القدّيسان العظيمان كرلوس بوروماوس رئيس اساقفة ميلانو وفرنسيس دي سال اسقف جنيفا . ولمّا عاد الحبر الاعظم بيوس السابع من منفاهُ في ساڤونة اراد أن يزور هذه الصورة المقدّسة ليشكر البتول على نجاتهِ من ايدي اعداء الكنيسة بنوال عجيب .

فالاخ فاثيرو الذي كان رضع مع حليب امهِ العبادة نحو البتول كثيرًا ما كان يجثو في شبابهِ امام هذه الصورة فيجد في اكرامها قوَّة وسلوانًا فلما انتقل الى الجزائر حتى فكَّر في نشر العبادة نحو سيّدة التعزية وكان لا يشك البتة في انَّ العذراء الطاهرة تخصب تلك الارض القفرة وتساعدهُ في تحويلها الى جنَّة فيحاء

ففي شهر أيار من السنة ١٨٥١ وصلت الصورة المطلوبة من ايطاليـة الى ميتم اليسوعيين في الجزائر . وكان الاخ المتعبّد لما اسرع فشيّد مشهدًا صغيرًا اصطنعهُ من الالواح وزيَّنهُ على قدر استطاعتهِ واتفق مع اخوته الرهبان والاولاد اليتامى واهل تلك النواحي بان ينقلوا الصورة الى المحلّ المختصّ بها في موكب عظيم ورونق بديع . فتمَّت تلك الرتبة بكل أبهة وجُعلت الصورة في ذلك المشهد ريثما ينتهي بناء الكنيسة الجديدة التي نجز تشييدها بعد بضع سنوات

وما جلست البتول على منصَّتها حتى اخذت تُفيض سيول النعم الروحيَّة والهبات الماديَّة على كلّ سكّان تلك الانحاء . فكنت ترى كل يوم العدد الغفير من يتامى الميتمين اللذين كانا هناك تحت نظارة الآباء اليسوعيين ومن اهل الجيرة والمستعمرين يقبلون الى معبد سيدة التعزية زرافات ووحدانًا فتارةً يأتونها بطاقات الزهور وطورًا يزيّحون صورتها او يتلون امامها الورديَّة ويسعون غاية جهدهم بان يستلفتوا انظارها ويكتسبوا منَنها

واالحقّ يقال انَّ العذراء السيّدة لم تضنّ بمواهبهـا على اولئك البنين ولو اردنا ان نفصّل ذكر ألطاف البتول نحوهم لطال بنا الكلام . فمن ذلك انَّ احد اليتامى وقع من عجلة تحت دواليبها ومرَّت المجلة على ساقيهِ فالتجأ الى العذراء التي كان اعتاد اكرامها وتزيين صورتها بالازهار . فقام دون ان يُصاب بأذى . وأُصيب آخر ببصق الدم حتى انَّ الاطباء وجدوا حالتهُ مخطرة فحثَّهُ الاخ فاثيرو على طلب الشفـاء من سيدة التعزية وصلَّى هو من اجلهِ فشفي تمامًا بعد زمن قليل

وجمحت بغيرهِ فرسٌ شموس فجرت بهِ الى نهر عميق ذي جسر متهدّم فقطعهُ سالمًا وهو قانط من النجاة فنسب خلاصهُ الى العذراء التي كان سلَّم على صورتها قبل ركوبهِ

وسقط على احدهم حجرٌ كبير فرضَّ ساقهُ ولم يجد الجرَّاح وجهًا لشفائهِ بغير قطع الساق الَّا انَّ الشاب جعل يلقي بمقاليد امرهِ الى البتول فيتوسَّل اليها بحرارة فما لبث ان نال بشفاعتها ما طلب منها فسلمت ساقهُ وشفي تمامًا

وكانت الأمهات خصوصاً اذا حلّ باولادهنّ مصاب يُسرعن الى معبد سيدة التعزية بكل ثقة وايمان فيَعُدن الى بيوتهنّ ظافرات شاكرات حتى انهُ جرى على السنتهنّ كمثل «اذا أُصيب اولادنا بسوء نلتجئ الى سيدة التعزية ونقدّم لاكرامها شمعة نوقدها أمام صورتها فلا تخيب آمالنا»

وليس في نيّتنا ان نثبت هنا صحّة تلك الكرامات المنقولة عن سيدة التعزية او ان نحكم حكماً قاطعاً بأنها من المعجزات الخارقة الطبيعة في حصر المعنى كما تفهمهُ الكنيسة الكاثوليكيّة لأنّ كثيراً منها يمكن تعليلهُ بالوسائل الطبيعيّة الّا انهُ لا يُنكَر كونها نعماً خاصّة جادت بها البتول نحو المتعبّدين اليها او ألهمتهم اياها لخيرهم

وقد رسخ الامر في قلوب العَمَلة واهل تلك الجهات فضلًا عن اليتامى الذين تخرّجوا في مياتم الجزائر حتى انهم ألفوا تلك العبادة بقيّة حياتهم

*

فهذه الصورة بقيت في الجزائر مكرَّمة معظَّمة ثلاثين سنةً وهي هي التي تُرى اليوم في كنيسة تعنايل فتجدّد في البقاع آيات حبّها نحو الاهلين كما فعلت سابقاً في ارض افريقية

ففي السنة ١٨٨٠ لمّا اصدر جول فرّي الوزير الماسوني حكماً في تشتيت شمل الآباء اليسوعيين من فرنسة وملحقاتها اضطرّ الرهبان ان يقفلوا مياتمهم في الجزائر ويطلقوا سبيل عدد وافر من اولئك المنكودي الحظّ الذين كانوا يُعنون بتهذيبهم . وتفرّق الآباء في امكنةٍ شتّى وكان بين الذين هاجروا الى بلاد الشام احد قدماء اليتامى ممّن تربّوا في الجزائر ثم انتظموا في سلك رهبانيتنا اليسوعية يدعى الأب كيرن (P. Kirn) فكان المذكور مغرماً بعبادة مريم العذراء مبالغاً في اكرام صورتها العجائبيّة المنصوبة في ميتم الجزائر . فلما بلغهُ امر رؤسائهِ بان يأتي الى بلاد الشام ويتقلّد رئاسة دير تعنايل كان اوّل فكرهِ بان يصحب معهُ صورة سيدة التعزية ليكرمها اهل لبنان كما اكرمها نصارى الجزائر . فبارك الرؤساء هذا الفكر الصالح ونقل الاب المذكور معهُ ذلك الكنز الثمين ليغني بهِ جهات الشام

وكأنّي بمشارف لبنان ومفاوز البقاع حيّت تلك العذراء عند قدومها الى تعنايل فتهلّلت مردّدةً قول الحكيم: «هلمّي يا سلطانة من جبال أمانة وسنير وحرمون ..

هلمّي فتكلّلي بالمجد . . فنقيم لك عوضاً عن هيكل الجزائر مقاماً آخر اهلاً بجلالك ترتفع فيه أدعية المتعبدين لك في سهول البقاع الى سموّ عرشك. هلمّي يا أيتها العذراء الملقّبة بارز لبنان فنشيد لك مشهداً تحدق به اشجار الارز. وانت المدعوة الوردة السرّية والزنبق بين الشوك سينتشر حول معبدك عرف الزهور العطرة وشذا الورد والسوسن . . وان كان اولادك يتامى الجزائر قد تفرّقوا ايدي سبأ فستجدين حولك فقراء وايتاماً غيرهم يلوذون بشفاعتك ويستترون تحت كنف حماك فتقومين لهم مقام احنّ الأمهات كما أنهم يكرمونك اكرام أبرّ البنين »

وها قد مرّ اليوم على هذه الصورة ٣٠ سنة منذ حلّت بيننا كضيف كريم فسكنت اوّلاً في معبد صغير بسيط ثم استولت على مقامها الجديد. فلم يكد يمرّ عليها يوم واحد ولاسيا في ايّام الربيع والصيف دون ان يقدم عليها بعض الزوّار شاكراً لها نعمتها او ذاكراً لها بعض حاجاته الروحيّة او الزمنيّة. واذا وقع يوم ميلاد العذراء. وهو يوم عيدها ازدحمت الجموع في كنيستها ثم أُخرجت صورتها المباركة في موكب مهيب تتقدّمها جماهير الزوّار بالنظام والتقى فتحمل في وسط الغابات والاشجار بينما تتصاعد الى الجوّ اصوات الاناشيد الروحية وترتفع الى السماء أدعية القلوب الحارّة فتعطّفها على الاخصّ فئات اليتامى الذين يأوون الى بيتها المدعوّ لذلك بيتم سيدة التعزية

وهذه الصورة الجميلة هي كما قلنا سابقاً مرسومة عن الصورة الاصليّة التي تكرم في مدينة طورينو برخصة خاصّة من رؤساء كنيستها وقد اجتهد المصوّر ان يمثّلها تمثيلاً دقيقاً كأنّها هي كما يشهد على ذلك رقيم الرؤساء المذكورين. لا بل سعى المصوّر في ان يزيد نظرها حنوّاً كأنّه نظر أعطف وأحبّ الأمهات فانّ ذلك النظر في الصورة الاصلية يدلّ على لين وانعطاف اما صورة تعنايل فترى فيها عيني العذراء كعيني ابنها يسوع ايضاً ترشقان الناظر اليها بسهام نافذة الى قلبه فتتبعانه حيثما سار فهو نظر أمّ رحوم وسلطانة جليلة يجمع بين الحنوّ والمهابة فيحرّك كل عواطف النفس على مقتضى استعداد كل زائر فاذا شخص الرجل بنظره اليها لا يسأم من التأمل في محاسنها. وقد روت اخبار الجزائر انّ كثيرين من زوّار مياتم الجزائر كانوا يمرّون بازائها ولا يعيرونها بالاً فاذا رأوا الاحداث يجثون امامها ويحيّونها بالسلام ويبتسمون بنظرهم اليها تحرّكت شواعرهم وتغيّرت افكارهم واثابوا الى الله بعد أن اهملوا خدمته فجثوا هم ايضاً امام الصورة تائبين

مستعطفين. واخبر احد المستعمرين انّ نظر البتول أثّر فيهم تأثيرًا عظيمًا وبعد ان سعى بان يُصلّب قلبهُ ويقهر عواطفهُ لم يتمالك من ان يقرّ بذنوبهِ الى كاهن وتاب توبة نصوحًا. وقد اراد بعضهم ان يصف هذا النظر العجيب فنعتهُ «بنظر الام» وكُتب ذلك في ذيل الصورة

والحق يقال انّ سيدة التعزية منذ شرّفت البقاع اعربت عن حُبّ امّ عطوف فتحت لسكان هذه الجهات افلاذ اكبادها وجادت بنعمها على كل طالبيها. ولقد عرف الاهلون سريعًا كرمها الفائض فاخذوا يتردّدون الى هيكلها ويقدّمون لها التضرُّعات ويوقدون الشموع امامها ويتناقلون ذكر النعم التي نالوها من راحتيها. فكم من مرّة سمعناهم يقصّون علينا اخبارهم العجيبة فهذا يخبر بان ولدهُ عوفي من مرض ثقيل بشفاعتها وذاك يؤكد بانّ ابنهُ الاخرس نطق بعد ان زار معبدها. وغيرهُ يُعلن بان مواشيهُ كانت ضحيّة داء عضال فنجت منهُ بعد ان نذر نذرًا لسيّدة التعزية. وآخرون ينسبون اليها سلامة غلّاتهم من الآفات وبيوتهم من العدوى. ولو لم نظفر على شاهد آخر يثبت صحّة اقوالهم غير وفرة زوّار المعبد نكتفي بذلك دليلًا فطالما نظرنا عيالًا بتمامها بل قُرى كاملة قصدت كنيسة السيدة سائرةً اليها من البقاع وزحلة وبعلبك. وكم رأينا نساء نحيفات الجسم بل كريمات الاصل أتين حافيات طاويات من امكنة بعيدة ليقُمن بنذورهنّ عند هيكل العذراء بعد ان فزنَ برغائبهنّ

وممّا خُصّ بهِ هذا المزار التقوي انّ موقعهُ في مكان قفر معتزل عن الضوضاء والجلبة فاذا اتاهُ الزائر شعر في صميم قلبهِ بعواطف التُّقى والسلام على خلاف بعض المزارات التي تصبح في ايّام اعيادها اشبه بأسواق حافلة تتجمهر فيها الجماهير فيطلقون البندقيّات ويقيمون الالعاب والمراقص ويتغنّون بالاغاني العشقيّة ويشربون المسكرات فتلعب الخمرة بالرؤوس وتجري بين الجموع المشاجرات والخصومات التي تستدعي مداخلة الحكومة وتوقيف الجناة. فهذا ما نراهُ في بعض قرى لبنان في ايّام الاعياد المختصّة بذكر السيدة واولياء الله. فهيهات ان تجد شيئًا من ذلك في تمنائل فانّ كل شيءٍ يتمّ هناك بنظام وتقى ولا يأتي الزوّار الّا لغاية صالحة ولا نستثني من ذلك يوم عيد السيدة فانه مع وفرة القادمين الى حضور العيد وتباين مللهم وطوائفهم تجدهم جميعًا قلبًا واحدًا ونفسًا واحدة لا يقصدون سوى اكرام البتول بكل ورع وعبادة فيمشون بالترتيب

خاشعين ساكتين لا يسمع بينهم الّا صوت الصلاة والتضرع او الترانيم التقوية واذا بلغوا الى وسط الغابة حيث تُنصب صورة العذراء يحفّون حولها فيسمعون عظة يلقيها عليهم احد الخطباء في معنى العيد ثم يمنحهم بركة الصورة فيعودون ادراجهم بالنظام ثم ترفضُ جموعهم وكلهم ألسنة ناطقة بحسن الرتبة ونقاها وشكر العذراء ومدح معبدها

ونحن نختم هذه الاسطر رافعين الى مقام سيدة التعزية اكفَّ الضراعة فنطلب من شفقتها ان تملك على قلوب سكّان هذه السهول وتبارك اعمالهم وتشمل بنظرها خصوصاً ميتم تمنائل واولاده وتصونهم نفساً وجسداً من كل الآفات وتبلّغهم بعد العيشة الصالحة الى دار البقاء حيث يشكرون فضلها نحوهم ويشاركونها بالافراح السرمديّة

المجامع والدواوين والدوائر الرومانيّة

للاب لويس معلوف اليسوعي (نقلًا عن البشير)

ان قداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر المالك سعيداً برسالته التي بدؤها «Sapi-enti consilio» الصادرة بتاريخ ٢٩ حزيران سنة ١٩٠٨ ادخل بعض الاصلاحات على المجامع الرومانية المؤلفة منذ عهد سيكستوس الخامس واضاف اليها غيرها وفصل الدوائر الاداريّة عن القضائيّة وجدّد لهذه الاخيرة ديوان الروتا (Rote) الذي يعلوه لبعض الامور ديوان التوقيع (Signature) العالي وهو بمنزلة ديوان التمييز

وقد رأينا ان نلخّص لفائدة القرّاء اختصاصات هذه المجامع والدواوين بحسب النظام الجديد

مجمع التفتيش

S. Cong. du Saint Office.

يرأس مجمع التفتيش قداسة الحبر الاعظم نفسه. امّا اختصاصات هذا المجمع فهي المحافظة على كل ما يتعلق بالايمان والآداب فلهُ وحدهُ ان يحكم في امر الهرطقات ومتعلقات البدع وهو دون غيره يهتمّ بامر الغفرانات وشروطها سواء كان من الوجهة النظريّة او العمليّة

. ثم انهُ وان كان للاسرار مجمع خاصّ فيظلّ لمجمع التفتيش مع ذلك ملّ

السلطة للحكم في المسائل الاعتقادية المتعلقة بامور الزواج وبسواها من الاسرار وفي الموانع الناشئة من اختلاف الدين والمذهب

٢° مجمع المجالس الكردينالية
S. Cong. Consistoriale.

يُقسم هذا المجمع الى فئتين ممتازتين فمن خصائص الاولى ان تمدّ موادّ البحث في المجالس الكردينالية وتُعنى في انشاء الابرشيات الجديدة وتأليف الدواوين الكنائسيّة في البلدان التي لا ترجع في امورها الى مجمع انتشار الايمان المقدس. ومن خصائصها ايضاً قسمة الابرشيات وانتخاب الاساقفة والمدبرين الرسوليين ومعاوني الاساقفة . ولها ان تجري الفحص القانوني عن اهليّة المرشحين وتبحث عن صحّة معتقدهم. واذا كان الانتخاب وانشاء الابرشيّات او قسمتها لاماكن خارج ايطاليــة فللوزارة البابويّة أخذ المعلومات اللازمة واجراء ما ينبغي اجراؤه اولًا ثم تعرض النتيجــة على المجمع الذي كلامنا فيه

اما الفئة الثانية من هذا المجمع فتهتم بكل ما يتعلّق بادارة الابرشيــات التي لا ترجع في امورها الى مجمع انتشار الايمان المقدّس وتسهر على ان يقوم الاساقفة ورؤساء الكهنة بالواجبات المفروضة عليهم وتطلع على التقارير التي يرفعها الاساقفة عن حالــة ابرشياتهم وتامر باجراء الزيارات الرسولية وبعد ان تفحص نتيجتها وتعرض خلاصتهـا على قداسة الحبر الاعظم تامر بأخذ التدابير اللازمة او المفيدة. ومن خصائص هذه الفئة ايضاً الاهتمام بادارة ونظام وتدبير وعلوم المدارس الاكليريكية

وان حدث ريب في احدى المسائل ولم يظهر جليًّا لايّ من المجامع المقدسة يعود النظر فيها فلهذا المجمع الحكم في ذلك وتعيين جهة الاختصاص

ويرأس هذا المجمع قداسة الحبر الاعظم بوزارة الكرديــنالين سكرتير مجمع التفتيش والوزير البابوي. ولقداسته ان يضمّ اليهما من يشاء

٣° مجمع الاسرار
Cong. de la Discipline des Sacrements.

يُعنى هذا المجمع بكل القوانين المتعلّقة بنظام الاسرار السبعــة خلا الامور التي

موجهها الى مجمع التفتيش كما ذُكر او الى مجمع الطقوس كاحتفالات منح الاسرار وقبولها

وعليه يكون من خصائص هذا المجمع منح التفسيحات الزواجية في الحكمة الخارجية سواء كان للفقراء او للاغنياء وتصحيح الزواج من الاصل وحلّ الزيجة غير المكتملة وفصل المتزوّجين واعلان البنين شرعيين. ومن خصائصه ايضاً كل ما يتعلق بنظام سائر الاسرار كمنح التفسيح للمتقدمين الى سر الكهنوت والتفسيحات المتعلقة بالمكان والزمان والشروط في قبول الافخارستيا واقامة الذبيحة الالهية وحفظ القربان المقدس الى غير ذلك من امثال هذه الامور

ولهذا المجمع اخيراً ان ينظر في المسائل المتعلقة بصحة الزيجة او سر الكهنوت و بنظام الاسرار. لكنه اذا ارتأى وجوب النظر في هذه المسائل بحسب الطريقة القضائيّة فحينئذٍ يتخلّى عنها لديوان الروتا

مجمع ايضاح تعاليم المجمع التريدنتيني
Cong. du Concile.

وظيفة هذا المجمع الاهتمام والعناية بكل الشؤون العائدة الى نظام الاكليروس العلماني والشعب المسيحي العام. فمن خصائصه اذاً ان يسهر على حفظ وصايا الكنيسة كالصوم والقطاعة واداء العشور وحفظ الاعياد وان يفسح للمؤمنين من هذه الوصايا عند الاقتضاء. وبه يناط تدبير كل ما يختص بالخوارنة والقانونيين والجمعيّات والشركات التقويّة والاوقاف والمشاريع الخيريّة وحسنات القداسات والرواتب الكنسيّة والعقارات والاموال المختصة بالاكليروس

مجمع الرهبانيات
S. Cong. des Religieux

تنحصر سلطة هذا المجمع في شؤون الرهبان والراهبات سواء كانوا من ذوي النذور الاحتفالية او البسيطة. فبه يناط امر كل المشاكل التي تحدث بين الاساقفة والرهبان او الراهبات او بين الرهبان او الراهبات وهو بمثابة محكمة اختصاصيّة للنظر في كل الدعاوي النظامية. اما ما سوى ذلك فيحال على ديوان الروتا

٦ً مجمع انتشار الايمان المقدس
S. Cong. de la Propagande.

تنحصر سلطة هذا المجمع في البلدان المعروفة بالرسالات حيث لم يتمّ بعد تنسيق

نظام السلطة الكنائسيّة بكامله او ان كان قد تمّ كما في الهند واستراليا واليابان فهو لا يزال في حالة النشوء

وبموجب احكام الرسالة الحبرية Sapienti قد ارتفعت سلطة مجمع انتشار الايمان المقدّس في اوربة عن الاقاليم الكنائسيّة الآتية اعني انكلترة واسكتلندة وارلندة وهولندة وابرشية لكسمبورج وفي اميركة عن اقاليم بلاد كندا والارض الجديدة والولايات المتحدة. هذا وان سلطة المجمع تمتد الى عموم النيابات والمديريات الرسولية والرسالات غير ان قداسته امر بان مجمع انتشار الايمان يحيل الى المجامع الخاصة كل المسائل المتعلقة بالايمان والزواج ونظام الطقوس المقدّسة

اما ما يختصّ بالرهبان والراهبات فان كان يتعلق بهم من حيث هم مرسلون فهو يختصّ بهذا المجمع. اما اذا كان من حيث هم رهبان فيحال الى مجمع الرهبانيّات

ولمجمع انتشار الايمان فرع خاص يهتم بشؤون الطوائف الشرقيّة وهذا الفرع يحفظ كل اختصاصاته الماضية. وقد ضُمّت الى هذا المجمع لجنة اتحاد الكنائس المنفصلة

٧ً مجمع فحص الكتب

S. Cong. de l'Index,

كان هذا المجمع اذا ما رُفع اليه امر كتبٍ تخالف تعاليمها للتعاليم القويمة يهتمّ بفحصها وبحرمها عند الاقتضاء. فامر قداسته برسالته Sapienti بان يعنى هذا المجمع نفسه علاوة على ذلك بالتفتيش والبحث عن الكتب والنشرات التي تستحقّ المنع وبتنبيه الاساقفة الى ان يسهروا السهر الكلي على ما ينشر في ابرشيّاتهم من الكتب فيوجّهوا انظار الكرسي الرسولي الى ما كان منها مخطراً

٨ً مجمع الطقوس

S. Cong. des Rites.

وظيفة هذا المجمع فحص وتنظيم كل ما يتعلق مباشرةً بطقوس واحتفالات الكنيسة اللاتينيّة فقط. قلنا « فقط » لان مرجع الطوائف الشرقيّة في هذه الامور ايضاً هو الفرع الخاصّ بها في مجمع انتشار الايمان المقدس

فمن خصائص مجمع الطقوس اذًا ان يسهر على حفظ الطقوس والرتب في اقامة الذبيحة الالهية ومنح الاسرار وان يمنح التفسيحات الضروريّة والانعامات الشرقيّة سواء كانت شخصية او محلية زمنية او دائمة

واخيرًا اليهِ يرجع الاهتمام بكل ما يتعلق بامر تطويب اولياء الله وتثبيت قداسة القديسين بعد فحص اعمالهم ومعجزاتهم وبامر الذخائر المقدسة

٩ مجمع الاحتفالات
S. Cong. de la Cérémoniale

خصائص هذا المجمع هي كما كانت من القدم اي ترتيب الاحتفالات التي تقام في بلاط الحبر الاعظم وفي معبده الخاصّ والعناية بتقرير ما تقتضيه حقوق الاسبقيَّة بين الكرادلة وسفراء الدول وما يجب اجراؤهُ من مراسيم التشريفات في الاستقبالات الوسمية

١٠ مجمع الشؤون الكنائسيَّة الخارقة العادة
S. Cong. des Affaires Eccles. Extraordinaires

يعنى هذا المجمع بالامور التي يعهد اليهِ الحبر الاعظم بفحصها بواسطة الكردينال وزيرهِ وبنوع خاص بالامور التي لها علاقة بالقوانين والشرائع المدنيــة والتي تتعلق بالاتفاقات والمعاهدات المبرمة مع الدول

١١ مجمع الدروس
S. Cong. des Etudes.

وظيفة هذا المجمع تنظيم الدروس في الكليات والمكاتب التي تحت سلطــة الكنيسة حتى التي تكون منها بادارة الرهبانيّات والنظر في ما يراد انشاؤه من الكليات والمكاتب والموافقة عليهِ واعطاء ادارتها سلطة منح الدرجات الاكاديمية

ب الدواوين

١ ديوان التوبة الرسولي
S. Pénitencerie Apostolique.

تنحصر سلطة هذا الديوان في ما يتعلق بالضمير ولهــذا ليس من خصائصه حلّ موانع الزواج حلًّا علنيًا ظاهرًا بل ذلك من خصائص مجمع الاسرار . ومن خصائص ديوان التوبة انهُ يمنح الانعامات الروحية ويحلّ ويفسخ ويبدل ويصلح ويؤجل لكنهُ يفعل ذلك كله في محكمة الضمير الباطنية . واخيرًا هو الذي ينظر في المشــاكل اللاهوتيّة الادبية ويحلّها

٢ً ديوان الروتا
S. Rote Romaine.

قد جدَّد قداسة الحبر الاعظم ديوان الروتا وعهد اليه النظر في المسائل القضائية وهذا الديوان يكون تارةً بمثابة محكمة ابتدائية وتارةً بمثابة مجلس استئناف حسب قوانين مقرَّرة. وهناك امور وظروف يكون فيها حكمهُ حكماً باتاً لا يستأنف ولا يميَّز

٣ً ديوان التوقيع
Signature Apostolique.

هذا الديوان هو بالنسبة الى ديوان الروتا كمجلس اعلى او كمحكمة تمييز

الدوائر

١ً دائرة الختم الرسولي
Chancellerie Apostolique.

يرأس هذه الدائرة احد كرادلة الكنيسة الرومانيَّة المقدَّسة ومن خصائصها ارسال الرسائل الرسولية التي يكون توقيعها على الرصاص (sub Plumbo) والمتعلقة بانشاء ابرشيات جديدة وبامور الكنيسة الهامَّة

٢ً دائرة الداتاريا الرسولية
Daterie Apostolique.

يرأسها احد كرادلة الكنيسة الرومانية المقدَّسة ووظيفتها البحث عن اهلية المرشحين لقبول الرواتب الكنسية غير المختصة بالديوان الكرديناليّ المحفوظة للكرسي الرسولي. وانشاء وارسال الرسائل المتعلقة بمنح تلك الرواتب والتفسيح من الشروط اللازمة لنحها

٣ً دائرة البلاط الرسولي
Chambre Apostolique.

رئيس هذه الدائرة نيافة الكردينال كمرلنغ الكنيسة الرومانية المقدَّسة ووظيفتها ادارة املاك وحقوق الكرسي الرسولي الزمنية خصوصاً مدَّة فراغه

٤ً دائرة الوزارة البابويَّة
Secrétairerie d'Etat,

يرأسها نيافة الكردينال وزير الحضرة البابويَّة وهي تتألف من ثلاثة فروع: يهتم الاوَّل بالامور الخارقة العادة الواجب عرضها على فحص المجمع المختصة به. والثاني

يهتم بالامور الاعتيادية ويمنح ألقاب الشرف الاكليريكية والمدنية ما عدا المحفوظ منها لتيم البلاط البابوي . والثالث يهتم بارسال البراءات الرسولية التي تحيلها اليه المجامع

رحلة القس خدر الكلداني

من الموصل الى رومية وما جرى له في طريقهِ وفي المدينة المقدسة (تابع)

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

• وصف اليوبيل الروماني — كنائس وذخائر — حفلات دينية ومدنية

وكان سيدنا البابا بنادكتوس (الثالث عشر) فتح اربعة ابواب في اربع كنائس(١ وهي كنيسة مار بطرس وكنيسة مار بولس وكنيسة السنجوان (٢ وهي على اسم مار يوحنا المعمدان ومار يوحنا الانجيلي وفيها راس بطرس ورأس بولس وفيها تابوت العهد وعصاة موسى النبي (٣ وكنيسة ستنا ماريا ماجور (٤ وهي على اسم ستنا مريم وفيها صورة العذراء التي صوَّرها بيدهِ لوقا الانجيلي لمَّا كانت ستنا مريم في الحياة . وهذه الكنائس الاربع لا يوجد افخر منها في رومية ولكن كنيسة مار بطرس افخر من الكل . وما لها مثيل في الدنيا ابدًا . وفي هذه الاربع الكنائس يصير الغفران كل خمس وعشرين سنة مرَّة واحدة . وفي كل كنيسة يفتح سيدنا البابا بابًا واحدًا وبذلك الباب المقدَّس يدخل الزوَّار ليربحوا الغفران الكامل وتمحى الخطايا التي فعلوها في كلّ حياتهم بشرط ان يندموا عليها بعد اعترافهم بها وان يزوروا في نهار واحد الكنائس الاربع وزيارتهم تتمّم في سبع ساعات

١) هذه الابواب تُفتَح في سنة اليوبيل بروتق عظيم ليدخل منها الزوَّار

٢) سنجوان تعريب (San Juan) او (San Giovanni) اي كنيسة مار يوحنَّا

٣) لعلَّ الراوي خُدع بما روى فان تابوت العهد قد فُقد منذ جلاء بني اسرائيل الى بابل وفيهِ كانت عصاة موسى وقد نقلنا كلامهُ على علَّاتهِ

٤) Santa Maria Maggiore اي كنيسة مريم الكبرى وهي التي بناها في القرن الرابع البابا ليباريوس بعد حدوث آية عظيمة في ذلك المكان حيث ظهر ثلج في وقت اشتداد القيظ على حسب وعد البتول لبعض اهل رومية

يهتم بالامور الاعتياديّة ويمنح ألقاب الشرف الاكليريكية والمدنية ما عدا المحفوظ منها لتيم البلاط البابوي . والثالث يهتم بارسال البراءات الرسولية التي تحيلها اليه المجامع

رحلة القس خِدْر الكلداني

من الموصل الى رومية وما جرى له في طريقهِ وفي المدينة المقدسة (تابع)

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

٥ وصف اليوبيل الرومانيّ – كنائس وذخائر – حفلات دينيّة ومدنيّة

وكان سيدنا البابا بنادكتوس (الثالث عشر) فتح اربعة ابواب في اربع كنائس(١ وهي كنيسة مار بطرس وكنيسة مار بولس وكنيسة السنجوان (٢ وهي على اسم مار يوحنا المعمدان ومار يوحنا الانجيلي وفيها راس بطرس ورأس بولس وفيها تابوت العهد وعصاة موسى النبي (٣ وكنيسة ستنا ماريا ماجور (٤ وهي على اسم ستنا مريم وفيها صورة العذراء التي صوَّرها بيدهِ لوقا الانجيلي لمَّا كانت ستنا مريم في الحياة . وهذه الكنائس الاربع لا يوجد افخر منها في رومية ولكن كنيسة مار بطرس افخر من الكل . وما لها مثيل في الدنيا ابدًا . وفي هذه الاربع الكنائس يصير الغفران كل خمس وعشرين سنة مرَّة واحدة . وفي كل كنيسة يفتح سيدنا البابا بابًا واحدًا وبذلك الباب المقدَّس يدخل الزوَّار ليربحوا الغفران الكامل وتُمحى الخطايا التي فعلوها في كلّ حياتهم بشرط ان يندموا عليها بعد اعترافهم بها وان يزوروا في نهار واحد الكنائس الاربع وزيارتهم تتمّم في سبع ساعات

١) هذه الابواب تُفتَح في سنة اليوبيل بروتق عظيم ليدخل منها الزوَّار

٢) سنجوان تعريب (San Juan) او (San Giovanni) اي كنيسة مار يوحنَّا

٣) لعلّ الراوي خُدع بما روى فان تابوت العهد قد فُقد عند جلاء بني اسرائيل الى بابل وفيهِ كانت عصاة موسى وقد نقلنا كلامهُ على علاَّتهِ

٤) Santa Maria Maggiore اي كنيسة مريم الكبرى وهي التي بناها في القرن الرابع البابا ليباريوس بعد حدوث آية عظيمة في ذلك المكان حيث ظهر ثلج في وقت اشتداد القيظ على حسب وعد البتول لبعض اهل رومية

وانا الحقير القس خدر زرتُ هذه الكنائس خمس مرات . واحصرت في رومية الزياحات التي عملوها كل يوم في هذه السنة المقدسة فانها ما تجي للوصف فترى القسوس لابسين بدلات والشمامسة في ايديهم العلامات والسناجق والصلبان فيطوفون كل يوم في المدينة ويزورون الكنائس . وكان قد جاء خلقٌ لا يحوط به احصاء من الشرق والغرب لاجل هذه السنة المقدسة ونالوا فيها الغفران

ولما كانت ليلة عيد الميلاد التي هي خاتمة السنة المقدسة اتى سيدنا البابا بنادكتوس ليكسّر الباب المقدس الذي لمار بطرس وسدّهُ بيده والكلس كان في طشت من فضة والمالج من ذهب وبيده بنى اثني عشر حجرًا وصقلها بمالج الذهب في الكلس . ثم ساعدهُ الكردينالية في البناء واتمّ المعلمون باقي العمل . ولما قدم البابا ليباشر بهذه الرتبة عملوا له زياحًا لا يصير مثلهُ في الدنيا حيث اجلسوهُ على كرسي وحملوهُ الى محل البناء وهو لابس بدلة ثمينة للغاية وعلى رأسه تاج مرصع بالجواهر وكان يمشي قدامهُ البطاركة والطارين والاساقفة والكردينالية وكلهم التيجان على رؤوسهم وشموع موقدة في ايديهم . وكان الجنود حولهُ لابسين دروعًا من حديد ساحبين الحربات والسيوف المسلولة وتولوهُ من سرايته بهذا الزياح وادخلوهُ في هيكل مار بطرس . وكان خلقٌ عظيم في الهيكل والارواق وحوش الكنيسة نحو مائة الف نفر من رجال ونساء . وثاني يوم الذي كان واقعًا فيهِ عيد الميلاد قدّس البابا في مار بطرس وحمل ذخائر القديس وصعد على درابزين في مكان عالٍ في الكنيسة وبارك بها على الشعب ووهب غفرانًا كاملًا لمن حضر هناك وكملت السنة المقدسة ورجع كل انسان الى بلده

وفي يوم خميس الفصح من السنة ١٧٢٧ رحتُ زرتُ كنيسة السنجولان التي هي على اسم يوحنا المعمدان ويوحنا الانجيلي في صحبة الرهبان الموارنة (١ وكان رئيسهم ابونا القسيس يوسف صاحبي فتوسّل الى رئيس الكنيسة ففتح لنا بابًا صغيرًا واراناعصاة موسى النبي التي شقّ بها البحر والى الآن ما بليت . وكذلك ارانا شقفةً من عكاز هارون الكاهن وغطاء تابوت العهد ومائدة الخشب التي اكل عليها السيد المسيح

---

١) هم الرهبان الحلبيّون اعطاهم الاحبار الرومانيّون ديرًا وكنيسة القديسين الشهيدين مرقس ومرشلّينوس

مع تلاميذهِ وصورة سيدنا يسوع المسيح التي صوَّرها لوقا الرسول وكانت هذه الذخائر كلها موضوعة في صندوق من بلّور. ولما رأيناها شملني فرح لم يحصل لي مثلهُ في كل حياتي (١

واصعدونا خارج الكنيسة الى مكان عالٍ فيهِ درجات كثيرة يصعدون في كل واحدةٍ منها ثم يسجدون و يصلُّون مرَّةً ابانا الذي والسلام عليك ويمشون على ركبهم لينالوا الغفرانات. وهذه الدرجات هي التي كانت في ديوان فيلاطوس وهناك سحب اليهود سيدنا المسيح ورموهُ من اعلى الدرج الى آخرهِ حتى تخضَّب الدرج من دم المسيح (٢. فالملوك المسيحيُّون قلعوا الدرجات من مدينة اورشليم وجابوها الى رومية ونصبوها في بيعة يوحنَّا المعمدان ويوحنا الانجيلي المسمَّاة كنيسة لاتران التي على اسم المسيح. وفوق الدرج كنيسة صغيرة وفيها صورة المسيح بعينهِ التي صوَّرها مار لوقا الانجيلي وعليها باب حديد ما يفتح سوى في خميس الفصح وبعض أيام مواسم في السنة. ودخلتُ فيها مع الرهبان في عيد القربان القدُّس الذي يحكم في الاسبوع الثاني بعد الفنطيقستي (اي العنصرة) وشاهدت تلك الصورة وابصرتُ المسيح بعينهِ فطوبى لعيوني التي شاهدتهُ

وفي اليوم ٢٤ من حزيران الذي فيهِ عيد مار يوحنَّا المعمدان رحتُ الى كنيسة مار سلبطروس بابا رومية وهناك ديرٌ للراهبات الفرنسيسكانيَّات ورأيت فيهِ رأس يوحنَّا المعمدان في صندوق من بلُّور كان موضوعاً على الهيكل وهو الرأس الذي قطعهُ هيرودس واعطاهُ لهيروديا وشملني لذلك فرح لا يعلم بهِ الَّا الله. والكنائس التي في

١) بعض هذه الذخائر لا صحَّة لها كتابوت العهد ومحتوياته وانَّما نروي ما كتبهُ القس خدر تاركين عليهِ العهدة في ما رواهُ ومن اراد زيادة شرح فليراجع مقالتنا المعنونة « قدس الاقداس وذخائرهُ » (في المشرق ٩ : ٨٤٤–٨٥١) حيث ورد ذكر هذا التابوت وصورة المسيح وغير ذلك من الذخائر مع الانتقاد عليها

٢) لم يروِ الانجيل شيئاً من ذلك. إمَّا الدرج فقد صعدهُ السيد المسيح بعد جلدهِ وتكليلهِ بالشوك فخضَّبهُ بدمهِ. وهو المعروف اليوم بالدرج المقدَّس (Scala Santa) ويُكرم قرب الكنيسة المعروفة بالصليب الاورشليمي (Ste Croix de Jérusalem) حيث جُمعت اكثر ذخائر آلام المسيح كالصليب المقدَّس وعنوان الصليب وقطع من اكليل الشوك وحربة الجندي. وهذه الكنيسة قريبة من كنيسة مار يوحنَّا اللاترانيَّة فالقس خدر ألحقها بكنيسة لاتران لقربها وجعلها على اسم المسيح

رومية مع اديرة الرهبان والراهبات لا يُحصى عددها وسمعتُ انها اكثر من ١٦٠٠. وكذلك المارستانات اعني بيوت المرضى كثيرة جداً

وفي السنة ١٧٢٨ زوّج سلطان اسبانية ابنهُ على بنت سلطان البورتغال (١ فاراد الكردينال نائب سلطان اسبانية ان يعمل لهُ فرحاً وفرجةً في رومية مثل ما يعمل الترك « دولمه (٢ » في بلاد الاسلام فعمل برجاً عالياً مثل القصر في الميدان الذي قدّام مدرسة المجمع المقدس. وكان علوُّ البرج ١٥٠ ذراعاً وركّبهُ من ورق وملأ الورق باروداً وزيّنهُ بمجلي الذهب كلها ورق حتى كان منظرها يخطف بصر الناظرين. وجعل في راس البرج شبابيك وتصاوير عجيبة العمل ليس لها مثيل. وجعل حول البرج درابزينات فيها قنبرات ورق محشوّة باروداً وتماثيل بشر وخيل كلها ورق محشوّة باروداً وزيّنوا البلد بعدد لا يُحصى من الشموع والمشاعل. وقضوا شهرين في عمل البرج

ففي اليوم المعيَّن الساعة الثالثة من الليل اجتمعت كل اهل البلد وضربوا النار في ذلك البرج فدوت الضجّة في كل المدينة حتى كان يظنّ الناس من صوت تلك الصواعق انهُ صارت القيامة. وكانت القنابر ترتفع في الجوّ كأنها صواعق وترمي شرارات النار على روّوس الناس كأنها تحرقهم ولكن بلا ضرر لاجل الفرجة والضحك. وكان المتأمل يظنّ انّ النار والكبريت يتزلان من السماء كما في عهد سادوم وعامورا. وهم يعملون هذه الفرجة كلها ليذكّروا الناس في الجحيم والعذاب الذي يتعذّب فيهِ الخطأة. اللهمّ جيرنا (أيجرنا) وخلّصنا منهُ بحولك وقوّتك آمين. والنار التي كانت تتأجج في البرج كان دخانها اسود مدلهماً لا يُرى فيهِ شيٌ ثم يصفو الدخان فيُرى احمر. وقد صرفوا على هذه الحرّاقة اي برج الورق خمسة عشر الف قرش اسكوت روماني. وكل اسكوت عشر جوليات والجولية هي البغداديّة السالكة في الموصل وكان يضربون بآلات الموسيقي لسلوة الناس شيٌ ما يسعهُ العقل

٦ ذكر آثار مختلفة وحفلات واعياد

وفي سنة ١٧٢٧ م ادخل سيدنا البابا في مدرج القديسين ثمانية رهبان اثنين من

---

١) ملك اسبانية فيليبُّوس الخامس وابنهُ فرديند السادس واسم ملك البرتغال يوحنا الخامس

٢) دوله والاصحّ طوله بالتركيّة المحشوّ بالبارود

اليسوعيين (١ واثنين من الفرنسيسكان من السوكلند (٢ ومطرانًا واحدًا (٣ وراهبة من الدومنكان (٤ واثنين آخرين. وفي السنة ١٧٢٨ ادخل في مدرج القديسين القديسة اغنسة الدومنيكانية (٥ وكلهم قدّسهم في كنيسة مار بطرس . وفي السنة ١٧٢٩ جعل في رتبة القديسين مار يوحنا من جرمانية (٦ وقدّسهُ في كنيسة السنجوان (San Giovanni) بزَياح ما لهُ مثيل مدّة الصوم الكبير

وفي هذه السنة في خميس الفصح دخلت الى بستان قسطنطين الملك الذي هو داخل كنيسة السنجوان حيث كانت سراية الملك قسطنطين ولما تحول من مدينة رومية وانتقل الى الشرق فبنى مدينة القسطنطينية جعل سرايتهُ كنيسة على اسم مار يوحنا المعمدان ومار يوحنا الانجيلي فدخلت بستانها في صحبة الرهبان الموارنة وابصرت قامة المسيح مركبة على اربعة عواميد وعليها طبق فدخلت انا الحقير القس خدر تحتها وقدّرتُ قامتي على قامة المسيح فطلعت قامتهُ اعلى من قامتي بعرض اربعة اصابع

وذلك البستان حولهُ روافات وفيه دعائم معرومة مفتولة مُقرمطة مزخوفة تخطف بصر الناظرين. وفيه العمود الذي وقف عليه الديك فصاح لما كفر بطرس بالرب وعليه ديك مصوَّر من حجر كانهُ يصيح. وفيه حجر سمّاقي طولهُ وعرضهُ نحو ذراع واحد وهو الحجر الذي وضع عليه الشُرطُ ثياب المسيح لما عروه فاقترعوا عليها. وجنبهُ عمود غاية في اللطف مشقوق فلقتين من فوق الى تحت كان في باب هيكل سليمان فانشق ساعة صلب المسيح وقد وُضع كل فلق على جانب الآخر فهذه الآثار وغيرها ايضاً كانت سابقاً في بيت المقدس فجمعها قسطنطين وارسلها الى رومية. وابصرتُ ايضاً في ذلك البستان اصنام المصريين التي صاحت لما دخل يسوع الطفل الى مصر. واشياء كثيرة ما عرفتُ اسماءها فما كتبتُها

١) هما القديسان لويس غنزاغا واسطانسلاوس كُستكا
٢) السوكلند (Cioccolanti) طغمة من الرهبان الفرنسيسيين دُعوا بذلك لأن لون ثوبهم يشبه الشوكولاتا. والقديسان المشار اليهما جاك دالّا ماركا وفليكس دي كانتاليس
٣) يريد القديس اندراوس كورسيني اسقف فيازولي
٤) القديسة كاترينا من بولونيا
٥) اسمها اغنس دي مُنتيبلتشيانو
٦) يريد جان دي كابسترانو الذي انقذ بلاد المجر من اعدائها

ويوم احد القيامة دخلتُ هذه كنيسة السنجوان وكان فيها ناس لا يحصى عددهم فصعد مطران الى راس طغمة المذبح وهو من حديد مزخرف بالذهب والفضة يخطف ابصار الناظرين بحسنهِ . وهناك رأس مار بطرس ومار بولس ورأس ذكريا ابي يوحنا المعمدان وشعر سيدتنا مريم العذراء وثوبها وعصابتها مصبوغة بدم ابنها الذي جرى على رأسها لمّا كانت تبكي تحت الصليب وثوب يوحنا المعمدان وثوب يوحنا الانجيلي وذخائر قديسين كثيرين ما لهم عدد من الرسل والشهداء والمعترفين من جملتها عظام القديسة بربارة وهناك ايضاً اناء فيه دم من جنب المسيح وهو الذي جرى لمّا طُعن بالحربة وقطعة كبيرة من الصليب الحي الذي صُلب عليه المسيح . فكل هذه الذخائر موضوعة في علب صغار وكبار منها فضة ومنها ذهب وبلور وجواهر تخطف بصر الناظرين . فالمطران يحملها ذخيرةً ذخيرةً ويبارك بها على الجموع . وفي تلك الساعة تعوي الشياطين وتصيح في داخل المجانين (المسكونين) واصواتهم ترعب كل الناس . وقد ابصرنا مجانين كثيرين الذين شفوا في تلك الساعة ورجعت اليهم عقولهم

وهذه الزيارة تصير كل سنة يوم عيد قيامة الرب فيعرضون هذه الذخائر في كنيسة السنجوان وفي كنيسة سنتا ماريا ماجور السابق ذكرها في الساعة العاشرة من النهار . وفي يوم الاثنين ثاني عيد القيامة تصير الزيارة في كنيسة مار بطرس ويعرضون الذخائر التي فيها . فهناك راس مار اندراوس الرسول اخي شمعون الصفا وذخائر جميع التلاميذ وقديسين كثيرين لا يحصى عددهم وجميع آلات آلام المسيح ولكن جسد مار بطرس ومار بولس لا يزورها احد لانها في تابوت من فضة وفي قبر من حديد . وعلى طغمة رأس قبر مار بطرس ثلاث ذخائر يباركون بها وهي اولاً رمح الحديد الذي طُعن بهِ جنب المسيح ثم قطعة من الصليب الحي موضوعة في بلور مرصع بالذهب والجواهر . ثم صورة وجه المسيح على محرمة (منديل) وذلك انهُ لما كان حاملاً صليبهُ ليُصلَب وهو عرقان جاءت امرأة ومسحت وجههُ بالمحرمة فتصوَّر وجههُ فيها وهذه هي صورة المسيح الحقيقيَّة فيبارك بها المطران على الشعب فيأخذون البركة ويمشون وتبتدئ الشياطين تصيح في جوف المجانين وترهب الناس . وهناك ايضاً صورة بطرس وبولس اللذين رآهما قسطنطين الملك في

الحلم لمَّا آمن واعتمد على عهد البابا سلبسطرس

ورحتُ الى كنيسة سان جورجيو اي مار گورگيس (جرجس) وهناك رأسهُ موضوع في صوان من فضَّة والصوان موضوع على ثرونوس [1] المذبح . وفي كل سنة يوم عيدهِ يخرجونهُ ويباركون بهِ الناس. وهناك ايضاً حربة الرمح التي طعن بهِ التنّين وقد قبّلتُها بفمي

وفي الثلثاء من عيد القيامة تصير الزيارة في كنيسة مار بولس وهي خارج مدينة رومية على بعد ميل ونصف والناس كلهم يطلعون ليزوروها في هذا اليوم ويكشفون فيها صليباً من خشب عليهِ صورة المسيح التي كانت تتكلَّم مع القديسة بريجيتا. وعلى مذبح مار بولس ذخائر قديسين كثيرين موضوعة في آنية ثمينة مزخرفة بالفضَّة والذهب. وكل الزوَّار ينالون الغفران في هذه الأيَّام الثلثة لعيد القيامة: يوم الاحد في السنجوان ويوم الاثنين في مار بطرس ويوم الثلثاء في كنيسة مار بولس وهي كنيسة كبيرة عظيمة فيها عواميد كثيرة من الرخام و٢٤ عموداً من الحجر السمّاقي [2]. وهناك بساتين كثيرة ودير كبير عظيم وجمع رهبان كثيرين من رهبنة مار بنادكتوس اي مار مبارك

وبعدما رجعتُ من زيارة مار بولس دخلت كنيسة سنتا ماريا دال پو پلو (del Popolo) التي على جانب كنيسة الارمن ديسباكه (?) وكنيسة مار نيقولاوس. وابصرت فيها اولاداً صغاراً وبناتٍ صغيرات عمرهم عشر سنين ازيد وانقص قد اتوا الكنيسة ليتقرَّبوا اوَّل قربان وكانوا لابسوهم على زي اللائكة اعني كتَّاناً ابيض ملوَّناً باحمر واصفر واخضر وعلى روسهم اكاليل البنين اكاليل شوك والبنات اكاليل ازهار معمولة بصنعة المعلمين وعليهم اجنحة ملوَّنة بذهب. فطلعوا امامهم بالزيَّاح والسناجق والصلبان وهم يمشون بالصلوات والترانيم والشموع بايديهم فاذا ابصرهم انسان لا يستطيع ان يميّزهم من ملائكة السماء والذي ابصر في حلمهِ ملاكاً نورانياً يصدّق كلامي

ويوم الخامس والعشرين من شهر نيسان عيد مار مرقوس الانجيلي تجتمع كل

---

١) من اليونانية (Θρόνος) اي السدّة والعرش

٢) وهذه الكنيسة احترقت وخربت فجدّد بناءها البابا بيوس التاسع وهي اليوم من ابدع كنائس رومية فيها من الآثار وضروب الرخام الفاخر والنقوش ما يعزُّ وجود مثلهِ في غيرها

الرهبنات في كنستهِ وفي اوَّل ساعة من النهار يصلون زيَّاحًا عظيمًا ويخرج الرهبان صفوفًا صفوفًا ولكل رهبنة سنجقها فيمشون من كنيسة مار مرقس الى كنيسة مار بطرس بالترتيل والصلوات والطريق بين الكنيستين طولها نحو ميلَين

وفي اليوم الرابع من شهر آب عيد مار دومنيقوس اي مار عبد الاحد رحت فزرت كنيسة سانتا سابينا (١ وابصرت قلاية مار دومنيقوس التي سكن فيها وزرع قدام قلايتهِ شجرة الليمون. وابصرت الشجرة خضراء تزهر والتُّرنج معلَّق عليها ولها اليوم خمسمائة سنة وما يبست ولهذه الكنيسة دير كبير فيهِ راهبات الدومنيقانيين وهو على سور مدينة رومية. وهو مكان نزه لطيف وعالٍ يجري تحتهُ نهر طيبروس الكبير. وعلى جانبهِ دير سانتو صلاوس (كذا) اعني القديس رجل الله (٢ الذي جاء الى بلد الرها وقصَّتهُ في بلادنا معروفة وكان ابن حاكم رومية ورجع الى بيت ابيهِ مثل فقيرٍ شحَّاد وسكن في باب بيت ابيهِ سبع عشرة سنة وما عرفوهُ. ويوم الذي مات فيهِ دقَّت جميع نواقيس مدينة رومية فارتجَّت المدينة لمَّا سمعت دقَّ النواقيس من ذاتها ونزل البابا الى كنيسة مار بطرس وهو يبكي مع الكردينالية وجاء ملاك اخبرهم عن القديس رجل الله فراحوا وتباركوا منهُ كما هو مذكور في قصَّتهِ وبنى لهُ ابوهُ كنيسةً جنب دارهِ وهناك يسكن الرهبان. وقد ابصرتُ المكان فرأيتهُ مثل جنَّات النعيم هو مكان عالٍ مشرف على النهر وعلى كل مدينة رومية

واليوم الخامس من شهر آب عيد سانتا ماريا ماجور على الثلج (٣. وتُسمَّى كذلك لأنَّهُ كان في رومية رجل ذو مال كثير وما كان لهُ اولاد وكان محتارًا ايش يسوّي في المال فظهرت لهُ العذراء وقالت لهُ: اذا ابصرت الثلج على تلّ فابنِ لي هناك كنيسةً. وثاني يوم ابصروا ثلجًا في هذا المكان في أيام الحرّ الشديد فبنى كنيسةً عظيمة على اسم ستنا مريم العذراء. فكلّ سنة يوم تذكار العيد يسيرون الى هذه الكنيسة باحتفال عظيم بالصلوات والتراتيل ويقدّسون فيها وينثرون ورد النسرين الابيض ذا الرائحة الطيّبة فينزل على رؤوس الجماعة على شبه الثلج وتمتلئ الكنيسة من رائحة العبيق تذكارًا للاعجوبة

١) وفيهِ مقام الراهبات الدومنيكانيَّات في رومية ٢) وهو المعروف في هذه البلاد بالقديس ريشا وعند الفرنج بألكسيس (اطلب المشرق ٨: ٦٥٠) ٣) اطلب الصفحة ٦٥٦

ويوم عيد السيدة في نصف شهر آب رحتُ زرتُ كنيسة ريجينا جيلي (Regina cœli) وابصرتُ فيها صورة العذراء. وهي مصوَّرة مثل السلطانة وكانوا لبَّسوها لبس الملكات وفي يدها صولجان الملوك من ذهب وعلى رأسها تاج مركَّب من اثني عشر كوكبًا وهي جالسة على كرسي ملتحفة بالنور والقمرُ والسماء تحت ارجلها وحولها اثنا عشر ملاكًا لابسين زي الملائكة وهو شيء لا يوصف غريب عن العقل اذا ابصرهم الانسان يذهل عقلهُ ويطيش

ويوم غفران مار فرنسيس (٢ آب) رحتُ الى جبل الذهب حيث قطعوا فيهِ رأس مار بطرس اي سان بيطرو مانطوريو(San Pietro Montorio) وابصرتُ تحت المذبح الكبير القديس الشهيد مار مكسيميانوس تحت البأور وهو صحيح لم يفسد فوجههُ ويداهُ وزنداهُ ورجلاه وساقاهُ وكل جسده صحيح كأنهم امس دفنوهُ

وفي السنة ١٧٢٩ اختلَّ عقل الشمَّاس كوركيس فما بقي يقدر يدرس. وما نعرف أهذا الامر كان من الله او من الشيطان او الناس الاشرار حسدوهُ وعملوا لهُ سحرًا (١). والمذكور بقي في المدرسة اربع سنين فتعلَّم الغراماطيق ثمَّ كمَّل علم الفصاحة في سنتين ورابع سنة دخل في علم الفلسفة وتعلَّم ثلثة اشهر وبعد ذلك اختلَّ عقلهُ. وفي آخر السنة بعد ان عالجهُ الطبيب حكيم البابا وما انتفع ارسلهُ المجمع المقدَّس مع البادري فرح رئيس رهبان السوكلند الى بلد اللاذقيَّة وكان خروجهُ في ١٤ ايلول من هذه السنة

وفي ٢٥ ايلول صار رعد عظيم في رومية ووقعت صاعقة في كنيسة ترينيتا (Trinità) اعني بيعة الثالوث الاقدس ونزلت اولًا في بيت الاخوية واحرقت نصف البيت وصعدت الى قبة الهيكل فنقبتها وشقت اساس الهيكل ونزلت على دكَّة المذبح فكسرت الرخام وهي تنجّ وتتأجج وتلتهب ونقبت اماكن كثيرة من الهيكل من بلاط تفريشهِ وكان في الهيكل القس حنا المصري القبطي فطلع هاربًا من باب الهيكل. ثم انطفت ولم تهدم قبة الكنيسة لأنها كانت مرصصة برصاص الَّا ناحيةً منها خارجة التي انهدمت

(١) لا حاجة لتعليل الامر الى ذكر السحر والشيطان. وهذا امرٌ طبيعي يحدثُ لدارسين كثيرين

وفي هذه الكنيسة بيمارستان فيه خير عظيم وله اخوة يلبسون ثوباً احمر والحقير انا القس خدر مكتوب في اخويتهم. ومن قوانين الاخوة ان يغسلوا ارجل الزوّار ويخدموهم على المائدة وجميع الزوار الذين يأتون الى رومية ينزلون اولاً في ذلك البيمارستان ويبقون فيه ثلاثة ايام يأكلون ويشربون وينامون فيه مجاناً. وهو طول السنة لا يخلو من الزوّار وكل ليلة يوجد فيه مائة ومائتا نفر الى خمسمائة والف والزيد وانقص وفيه ناس كثيرون من الخدام والطباخين والمال لا يُحصى عددهم ويصرفون كل سنة على الزوار الوفاً وربوات من الدراهم وخصوصاً في اسبوع الآلام والفصح حيث يأتي خلق كثير ويعملون لهم مأكولاً طيباً وافراً ويضعون قدام كل واحد تسعة اشكال من الطعام ويجيء. ايضاً بعض من الكردينالية المشتركين بالاخوية فيغسلون ارجل الغرباء الزوار. والذي يغسلون رجليه يبخشونه (يهدونه) نصف قرش(١ والزيد وفي بعض الاوقات ايضاً يجيء. البابا ويغسل ارجلهم ويبخشهم كل واحد ذهباً(٢ ازيد وانقص. وبيت غسل الارجل كبير يسع ازيد من ستين رجلاً فيه دكة عالية يجلسون عليها وتحتها دكة واطئة فيها ينبوعان من الماء الواحد بارد والآخر حارّ فيغسلون ارجلهم فيه وينشفون ارجلهم بمناشف بيض نظيفة ويقبلون ارجلهم حتى ولو كانوا مرضى او فيهم قروح فيقبل اولاً البابا قروحهم ثم الكردينالية وما احد يتقزز ابداً لانهم اخوة المسيح. ثم يداوي اخيراً الحكيم قروحهم. وهذه الخدمة تصير كل ليلة. طول الازمنة والدهور

وفي الاحد الثالث من شهر ايلول يصير زيّاح عظيم في كنيسة سان مرجليو (San Marcello) وذلك انهم يضعون صورة العذراء على منبر عظيم وفي قلبها سبع حربات مشكوكة دلالة على الاحزان التي احتملتها في حياتها وخصوصاً الحزن الذي حزنت به على ابنها وهو مائت موضوع في حجرها. فترى وجهها في هذه الصورة مصفرّ اللون وهي باكية تحسبها امرأة حيّة حقيقيّة. وفي هذه السنة لبستُ ثوبها واشتركت باخويتها وفرض عليَّ الكاهن خادمها أن أصلّي كل يوم طول حياتي سبع مرّات الصلاة الربيّة والسلام الملائكي ذكراً لآلام العذراء.

وفي ٢١ من شهر ايلول عيد مار متى الانجيلي يصير في كنيسته زيّاح عظيم اكراماً

١) القرش كان يساوي قديماً نحو الريال المجيدي اليوم
٢) اي ديناراً رومانياً وهو الاسكوت

لدم مار فرنسيس الذي جرى من يديهِ ورجليهِ وجنبهِ لمَّا صوَّر الملاك جروحات المسيح في جسمهِ. فيجتمع جميع رهبان مار فرنسيس والكبوجيين والسكولند والاخوة الاصغرين ليكرموا ذلك الدم وهو موضوع في زجاج من بلُّور مرصَّع بالذهب ففي ذلك اليوم يرقّ الدم ويتاوج وبعد ذلك ييبس

وفي اوَّل احد من شهر تشرين الاوَّل يصير زيّاح الورديَّة لمار دومنيقوس ويخرجون صورة العذراء على عرش مرصَّع بالذهب وهي مزيَّنة بالاقمشة المذهَّبة وابنها في حضنها وعلى رأسها ورأسهِ تاج من ذهب وعلى صدرها وصدرهِ الجواهر واللؤلؤ ويحمل العرشَ ناس كثيرون وحوله شموع كثيرة فيمشون باحتفال عظيم لا يوصف وهم يصلُّون في الطريق صلاة الورديَّة. وكنت انا ايضاً ماشياً مع اخويَّة الورديَّة

واليوم الرابع من تشرين الاوَّل عيد مار فرنسيس رحتُ زرتُ كنيسته في الريفا (S. Francesco a Ripa) ودخلتُ القلاية التي كان يسكن فيها القديس ووجدتُ فيها الخشبة التي كان عملها له مخدَّة ليسند رأسهُ اليها وهو نائم على الارض

واوَّل يوم من تشرين الثاني عيد جميع القديسين يصير عيد عظيم في رومية وثاني يوم فيهِ تذكار الموتى الذين في المطهر يدوم ثمانية أيام يزورون فيها كنيسة مار غريغوريوس الكبير بابا رومية وجميع الكنائس ويعملون جنازًا عظيماً في هذه الثمانية أيام وكل يوم في كنائس الاخويَّة يصلُّون للموتى ساعتين بعد الغروب بانغام تقويَّة لا توصف ويشعلون في الكنائس شموعاً بلا عدد ويفتحون قبور الاموات ويعرضون جثثهم مجرَّدة عن اللحم اي هيا كل اجسادهم اليدين والرجلين والرأس والقوصرة اعني قفص الصدر وينصبونهم في الكنائس ليبصرهم الناس ويرتدوا من قبحهم. ويضعون على رأس الواحد تاجاً كأنهُ سلطان وعلى الآخر تاج الكهنوت كأنهُ بابا او بطرك او مطران وعلى آخر اكليلاً كأنهُ ختن. ويجعلون في يد واحد سيفاً كأنهُ جلاد وفي يد آخر معولاً كأنهُ بنَّاء او فاعل وبعضهم يُمسكونهُ ميزاناً كأنهُ بائع او شارٍ يبيع زائدًا او ناقصاً ويجعلون في يد غيرهم ساعةً رمليَّة كأنهُ قد ضيَّع ساعات عمرهِ وما كسب منها ساعة واحدة في التوبة ليكسب ملكوت السماء. فمن ينظر هذه الجثث يتوجَّع قلبهُ ويندم على خطاياهُ. ويقدّسون في هذه الثمانية أيام قداديس كثيرة لاهل المطهر والناس يعطون صدقات للمساكين ويعطون دراهم للقداديس ما شاء الله

وفي عيد مار استانسلاوس اليسوعي الذي يصير في ١٣ تشرين الثاني وهو القديس الذي ثبّتهُ البابا مع جملة ثمانية قديسين سنة ١٧٢٧ رحت لازور جسدهُ في كنيسة مار اندراوس في موطني كوالّو (Monte Cavallo) قبال سراي البابا (اي الكويرنال) وكنيستهُ صغيرة ولكن قوي لطيفة وفيها دير عظيم كبير للغاية وفيه بستان كبير لطيف عجيب لا يمكن وصفهُ يسكن فيه الرهبان اليسوعيّون المبتدئون سنتين للتجربة ثمَّ يخرجون ويُقسَّمون على بقيّة الاديرة. فطلعتُ وزرتُ قلّاية القديس لانهُ كان من المبتدئين وقبل ان يكتمل التجربة مات في عمر ١٨ سنة وقد صوَّروا صورتهُ على مفرش في قلّايتهِ صورة لطيفة ما وجدتُ مثلها ابدًا وهي كشخص نائم والازهار حولهُ (١

وفي يوم عيد مار اندراوس الذي يصير في ٣٠ تشرين الثاني لهذه السنة ١٧٢٩ قد عمل الكردينال بشاطور (٢ الفرنساوي حرّاقة عظيمة في بيادسا نافونا (Piazza Navona) لانهُ ولد لسلطان فرنسة ولد ذكر (le Dauphin) فعملها عجيبة فريدة وقد تكلّف على ماسمعنا لهذه الحفلة خمسين الف اسكوت (Scudi) روماني وعمل الحرّاقة من رأس البيادسا الى آخرها ونصب منارتين كبيرتين من خشب مصوَّرتين تصاوير عجيبة وصوَّر على رأس كل واحدة سلطانًا واحاطها بالفشك والبارود وعمل قلوعًا وبيوتًا ودعائم اشياء تدهش العقل وعمل درابزينات وشمل شموعًا ومشاعل ما لها عدد وعمل بركتين في كل بركة شادروان (٣ ينبع نبيذًا من ثلاث فتحيات فاجتمع الوف وربوات من الفقراء وشربوا حتى سكروا وصار فرحة في هذه الليلة ما صار مثلها برومية مرة اخرى وفيها شعلوا النار في البارود فكان ذلك المنظر من ابدع ما يكون وعدد الخلق لا يحصيه الّا الله.

وقبل عيد الميلاد بثلاثة ايام مات راهب من دير اراجيلي (Ara Cœli) اي المذبح السماوي من رهبنة السوكلند للارفرنسيس وكان اسم الراهب فرنسيس بوبين فعرضوا جسمهُ ستة ايام في الكنيسة وكان يفوح من جسمهِ روائح لذيذة اطيب من المسك والعنبر وعمل عجائب كثيرة. ولما سمع البابا بعجائبهِ امر بان يُجعل جسده في صندوق وعهره بهره (ختمهُ بختمهِ) ووضعهُ في قلّاية لئلا يسرق الناس جسده وينظروا ان

١) هذا التمثال يُعَدّ من التحف صنعهُ احد كبار النحّاتين المسمّى لوغرو (Le Gros)
٢) تصحيف ambasciadoro اي سفير. ٣) الشادروان بالفارسيّة الفوّارة

كانت تكثر عجائبهُ فيقدسونهُ . ومن بعض فضائلهِ انهُ كان يأكل مرة واحدة في النهار فيأكل البقل مخلوطاً بالرماد ويشرب الماء ممزوجاً بالرماد (لهُ بقية)

قانونية الاسفار الثانية

بحث لاهوتي للاب انطون رباط اليسوعي (تتمة)

اثبتنا في مقالتنا السالفة (المشرق ١٣ : ٦٣١) حقيقة وحي الاسفار الثانية وقانونيتها باقرار اباء الكنيسة المسيحية الجامعة شرقاً وغرباً مدة ثلاثة قرون متتابعة ونقلنا شهاداتهم مع شهادات المجامع المنتشرة في الامهم وبيّنا انهُ لم يقم عندئذ من يعارض المعتقد العام . وفي هذا كفاية لكل من يؤمن بعصمة الكنيسة الجامعة عن الغلط في تعليمها . وغنيّ عن التبيان ان التعليم الالهي لا يتبدل مع الزمان والمكان فهو هو الحق كان وسيكون وما اعتقدتهُ الكنيسة المسيحيّة في القرون الاولى لا تزال تحفظهُ وديعة على ممرّ الأيام مؤيّدة بأيد مؤسسها الالهي فلا تتغلب عليها ابواب الجحيم . لكن هذا التعليم الالهي هو وديعة سلّمها المخلّص الى الكنيسة الجامعة لا لكلّ فرد من اعضائها ولو قديساً وملفاناً عظيماً فقد يغلط هذا وذاك بل قد تضلّ مجامع مكانيّة برمتها فلا يؤثر غلطها في التعليم المسيحي لأنّ العصمة للكنيسة جمعاء ولرأسها المنظور اذا ما علّم تعاليم الخلاص كنائب المسيح وراعي الرعاة

ولفهم ما سبق لا بدّ من النظر في هذه الحقائق الموحى بها من الله وتمييز بعضها من بعض . فقد تكون الحقيقة وحياً جليّاً لا يحتاج الى زيادة ايضاح علّمهُ المسيح لهُ المجد في انجيلهِ الطاهر بصريح العبارة وكرّره الرسل والتلامذة على مسامع معاصريهم مثال ذلك ايماننا في سر الثالوث الاقدس وسرّي التجسد والفداء الخ . وقس عليهِ اعتقاد الكنيسة بوجود كتب منزلة الهية اوحى بها الروح القدس بفم الانبياء وحفظها الشعب المختار . فهذه وامثالها لا يشكّ فيها مسيحي حقيقي ان لم يَغشَ الضلال على بصيرتهِ فينبذ الدين القويم ظهرياً وينحاز الى الكفر او الهرطقة

وقد تكون الحقيقة الموحى بها صريحة في ذاتها او نتيجة اولية لحقيقة اخرى تكنها

لم تأتنا بنصٍ بيّن تام التبيان كبعض الصفات البشريّة في الاقنوم الثاني المتجسد فيبحث فيها العلماء الكنسيون وينظرون في الآيات الكتابية والتعاليم الرسولية مرتبطة بعضها مع بعض الى ان يصلوا الى الحقيقة إمّا بذواتهم فيتّفقون في التعليم في انحاء المسكونة واما اذا اجتمعوا في المجامع المسكونية فنظروا في الامر بغطتهم ونقّبوا في التقليد الكنسي وآراء الآباء فيسود الحق بالهام الروح القدس ويحدّدون العقيدة تحديداً معصوماً من الغلط الزامياً لكل مسيحي

وقد تكون الحقيقة لم تنزل في آية يُلجأ اليها عند الحاجة لكنها سُلّمت بالتقليد وحُفظت في عوائد الكنيسة الرسولية فجرى عليها الخلف بعد السلف فكان مسلكهم شهادة للتعليم الرسولي. ولعلّ الغيوم تحجب ضياء الحقيقة لا في الكنيسة الجامعة لكن في بعض انحائها او في افكار البعض من معلميها وذلك امّا لالتباس التقليد في امكنتهم واما لانحيازهم الى مبدإٍ اعتبروه صادقاً وليس له من الصدق الّا الظواهر. فتراهم من ثم يتجاذبهم طرفان فيسلكون مسلكين مسلك التقليد الكنسي ومسلك ما اعتبروه علماً فاذا ما تكلموا في مواعظهم ومقالاتهم الدينية والجدلية انبتروا العقيدة متمسكين بالتقليد الرسولي. واذا ما تباحثوا جعلوا يترددون في الامر فيخالفون بالكلام ما اعتادوهُ بالعمل وفي هذا تناقض بيّن قد يظهر لهم ويزيدهم ريباً فلا يبتّون حكماً مقرّين تواضعاً بقصر معارفهم ومعلنين كما صنع القديس اغسطينوس مراراً انهم يفضلون ان يكونوا تلامذة من ان يكونوا اساتذة

لكننا لا بد لنا من ان ننبّه القارئ اللبيب ان التعليم الديني ليس تعليماً ميتاً او « موميا » لُفّت في اقماطها وسلّمت من المسيح او الرسل او المجامع السبعة وديعة تصان في لحدها بلا حراك ولا نموّ ولا ظهور. كلّا هو تعليم حيّ سلّمه المخلّص الى كنيسته المعصومة عن الغلط لتحفظه فالسماء والارض يزولان وهو لا يزول ولا يتبدّل ولا يضمحلّ. لكنه له صفات الحياة فيزداد مع الأيام وضوحاً وصراحة فما كان بُرعماً في القرون الاولى قد يصبح زهرة زاهرة وثمرة لذيذة. وما كان جوهرة تغطّيها الرمال قد تنجلي فتبهر الابصار. وذلك بتنقيب علماء الدين وزيادة تأمّلهم ومناظرتهم في المبادئ والتعليم والتقليد ولا يكون هذا الّا بمراقبة الكنيسة التي وعدها المسيح ان يكون معها الى منتهى الدهور فيعصم الروح القدس تعليمها ويرشدها الى كل ما هو حق. ومن ثم لا بدّ

للكنيسة المسيحيّة من تعليم حيّ دائم معصوم عن الغلط. وليس في ما قلنا ما يجعل التعليم الالهي عرضة للتبديل والتغيير اذ ليس هنا لا تبديل ولا تغيير لكن زيادة وضوح او اظهار لكنز عُرف ولم يُستخرج من معدنه او جلاء لجوهرة لم يتلألأ اوّلًا بهاؤها فلما حان الزمان بانت كما هي ولئن جهلها بعض القدماء. ألا ترى مثلًا ان المجامع المسكونيّة قد حدّدت مئات من الحقائق على ممرّ الاجيال فكان الاباء يتناظرون فيها اوّلًا الى ان انجلى الحق وزهق الباطل

وليس في هذا تحقيرٌ لمعارف بعض الآباء. واللاهوتيين العظام الذين قد طبّق مجدهم الآفاق واضحت مؤلّفاتهم اطهر وانقى ينبوع نستقي منهُ مياه التعليم الالهي نقيّة صافية لكن عصمتهم في التعاليم المنزل محدودة في اتفاقهم كشهود التقليد لا كاساتذة وفلاسفة ينفرد كل برأيه عن غيره ويدري لا يراهُ صوابًا

هذه مبادئ لاهوتيّة يجب ان يحلّها القارئ اللبيب محلّ الاعتبار والتفهم قبل البحث في موضوعنا ليكون على بصيرة

ومن ثم نتخطى خطوة في البحث فنقول: ان وحي الاسفار القديمة عقيدة انزل الله في شأنها آيات جليلة لكنهُ لم يقرّ نصًا صريحًا في عددها وتمييز ما هو موحى به مما ليس لهُ حظ من الوحي. فملجأنا تعليم الرسل الذين بعثهم الرب ليبشروا ويعلموا ويتلمذوا الامم وهذا التعليم نعرفهُ من مسلكهم ومسلك خلفائهم الاقربين واقوالهم واخبارهم او بكلام اصرح بتعليم كنيسة المسيح الحقيقية الرسولية عمود الحق وورثة الاسرار وحافظة وديعة الايمان. وقد بينا في ما سلف ان مسلك الاباء الاقدمين يرشدنا الى معرفة الاسفار المنزلة وتعدادها ارشادًا جليًا لا مردّ عليهِ. لكن لما كان هذا مسلمًا بهِ فلم ترَ الكنيسة حاجة الى تحديدهِ لان من عاداتها ان تكتفي بعوائدها التقليدية ولا تحدد عقائدها الّا عند مسيس الحاجة وعند تعرّض المخالفين لانكارها. فقد ثابت هذا المسلك وقبلت الاسفار الثانية كاسفار الهية منزلةً ومن ثم اجلّتها كما تجلّ غيرها من الاسفار رغمًا عن انكار اليهود لها

وقد حدث في القرنين الرابع والخامس جدال نظري في قانونيّة الاسفار التي نحن في صددها فتردّد بعض الاباء القديسين في تحقيق قانونيتها لانكار اليهود لها ولعدم وجودها في التوراة العبرانيّة وخصوصاً لعدم وجود حكم مجمعي مسكوني يقودهم

في بحثهم وقد الجأتهم مراراً حاجات الجدال مع اليهود في تلك الاعصر ان يقتصروا على ما يقبله الخصم من البراهين فكان ذلك سبباً لان يجعل بعضهم ميزة بين الاسفار الاولى المقبولة من الطرفين وبين الاسفار التي ينكرهـا الخصم حتى سميت الاولى « الاسفار المقبولة من الجميع بلا مناظرة ولا جدال » (ὁμολογούμενα) والثانية (ἀντιλεγόμενα) اي التي يجري الجدال في وحيها

لكن المثابة الالهية لم تسمح بخسارة شيء من التقليد الرسولي فلهذا ترى الآباء يحفظونه عملاً وان شكّوا بالامر نظريًا فيستندون اسمى عقائد الدين الى تعاليم الروح القدس في الاسفار الثانية كما يفعلون في اسنادهم الى الاسفار التي لا يُناظر في وحيها. وقد جمعنا هذه النصوص فاذا هي تُربي على المئات فعدلنا عن نشرها في مقالتنا هذه خوفاً من الاطالة المملة مكتفين بالتلميح الى مؤلّفات اوسابيوس القيصري ولوسيفوروس الكالياري وهيلاريوس واثناسيوس وباسيليوس وغريغوريوس اللاهوتي وغريغوريوس النيصصي وقيصاريوس وابيفانيوس واوبتاتوس وامبروسيوس وافرام والفراهــات وكيرلس الاورشليمي ويوحنا فم الذهب واغسطينوس وكيرلس الاسكندري وروفينوس الخ

ولئلا تبقى ريبة في فكر القارئ الاديب نرانا مضطرين ان نورد هنا اهم اقوال الآباء المناقضة لقانونيّة الاسفار الثانية ونفسّر ما يمكن تفسيره مكتفين فيما سواه بما قدمناه من الشروح

١ (القديس اثناسيوس) اورد في رسالة له جدول الاسفار القانونيّة واحصاها اثنين وعشرين ثم ذكر الاسفار الثانية ووصفها أنها مفيدة ومقدّسة لكن ميّزها عن الاسفار القانونيّة

نلاحظ على الاعتراض ١ً ان القديس قد جعل بين الاسفار الثانية سفر استير وهو من الاسفار الاولى — ٢ً يلتحم هذا التقسيم الى عادة الكنيسة الاسكندريّة في تلاوة الكتب المفيدة لحديثي الايمان كما سبق وذكر ذلك اوريجانس (وقد نقلنا نصّهُ في المشرق ص ٤٤٤) — ٣ً ان القديس يستعمل كل الاسفار الثانية قائلاً عن الايات التي يوردها ما يقوله عن سائر الايات الكتابيّة ويجعلها برهاناً دينيًا قاطعاً لانها كلام الله وحكمة الله ἡ σοφία τοῦ Θεοῦ. ὁ τοῦ Θεοῦ λόγος. τὸ ἐν ταῖς γραφαῖς γεγραμμένον

هكذا استشهد بابن سيراخ والحكمة مراراً مع غيرهما من النبوات وايات الانجيل

والرسائل لاثبات لاهوت الابن الحكمة الالهية ولاهوت الروح القدس وذلك في مقالته البديعة ضد الاريوسيين وفي رسائله التعليمية الى سرابيون والى اساقفة مصر وليبيا ويستعمل مراراً غيرها من ايات سائر الاسفار الثانية (مين ٢٥ : ٢٠ و ٢٤ و٣١ و٨٨ و ٢٥٢ الخ) وقد احصينا في الجزئين ٢٥ و٢٦ فقط اكثر من خمسين شهادة لوحي الاسفار الثانية. فهل من برهان اثبت لحقيقة معتقده ومعتقد معاصريه من كاثوليكيين وهراطقة في وحي هذه الاسفار

٢ (القديس هيلاريوس) وصف السر الموجود في الاحرف الابجديّة العبرانية ثم قال: « ولذا فشريعة العهد العتيق تحصى في ٢٢ سفراً ليقابل عدد الاحرف . . . وقد اضاف قوم اليها طوبيا ويهوديت لتكون ٢٤ سفراً فتضاهي عدد الاحرف اليونانية ». وعلى هذا النصّ نلاحظ ١ً اعتقاد بعض الكتبة الاقدمين كشف غوامض الاسرار ومطابقتها للحقائق وليس في هذه المقابلات شهادات كتابيّة او تقليديّة — ٢ً ان هيلاريوس قد نقل نص اوريجانس بحروفه وقد شرحنا هذا النص في المشرق (ص ٤٤٤) — ٣ً يستعمل هيلاريوس الاسفار الثانية كالهية في كثير من مؤلفاته

٣ (القديس كيرلس الاورشليمي) يوصي المؤمنين ان يتجنبوا مطالعة الكتب الكاذبة المختلقة التي الحقها الهراطقة بالاسفار ثم يورد جدول الاسفار الالهية التي يتفق عليها الجميع ويحرضهم على مطالعتها وحدها قائلاً: ان كنت لا تعرف الاسفار التي اتفق عليها الجميع فلمَ تضيع الوقت فيما يتردد به

ὁ γὰρ τὰ παρὰ πᾶσιν ὁμολογούμενα μὴ εἰδώς, τί περὶ τὰ ἀμφιβαλλόμενα ταλαιπωρεῖς μάτην

(مين ٣٣ : ٤٩٦ الخ) نقول يتنج من هذا النص ان الاسفار الثانية كانت موضوع الجدال في زمانه وان الكنيسة الاورشليمية لم تكن تقرأ للشعب الّا الاسفار الاولى حافظة عادة اليهود القديمة خلافاً لعادة الكنيسة الاسكندريّة. وهذا نُسلّم به لاسيا وانا نرى القديس يثبت مراراً العقائد الدينية في عظاته من دستور الايمان البديعة بآيات من الاسفار الثانية (مين ٣٣ : ٥٤٤ و ٦٤٠ و٧١٦ الخ)

٤ (القديس ابيفانيوس) الف كتاباً في اسرار الاوزان والقياسات وهناك عدّد الاسفار القانونية الاولى تارةً ٢٢ وتارةً ٢٧ سفراً ليثبت انّ في العدد سرّاً خفيّاً ثم

قال: « ان سفري حكمة سليمان وابن سيراخ وان كانا مفيدين وعظيمي القيمة لكنهما لم يُحصيا في هذا العدد ولذا لم يُجملا في تابوت العهد » (مين ٤٣ : ٢٧٧) نجيب ان هذا التصريح ينبئ بأن القديس يذكر الاسفار التي قبلها اليهود الفلسطينيون في قانونهم وقد بيّنا في ما سلف ان قانون الكنيسة المسيحية اوسع من قانون اليهود الفلسطينيين (الشرق ٤٣٦) ولا نظن ان القديس يخالفنا وهو الذي قرّع أيثيوس المبتدع بقوله: لو كنتَ مولودًا من الروح القدس لوجب عليك ان تطالع السبعة والعشرين سفرًا منذ خليقة العالم الى زمن استير والتي اعتادوا ان يعدوها ٢٢ والاناجيل الاربعة ورسائل بولس الاربع عشرة.. وكتب الحكمة لسليمان وابن سيراخ وبكلمة واحدة كل الاسفار الالهية ثم تحكم.. (مين ٤٢ : ٥٦٠). فهـا انه يذكر سفرين من الاسفار الثانية في عداد الانجيل ورسائل بولس ويلحق ذلك باشارة الى غيرهما من الاسفار الالهيّة التي لم يذكرها. اما استعماله للاسفار الثانية فلا يحتاج الى ايضاح (مين ٤١ : ٣٥٧ و ٤٢ : ١٧٧ و٣١٦ و٤٣ : ٢٠ الخ)

٥ (غريغوريوس النزينزي) احصى الاسفار القانونيّة ٢٢ سفرًا على مرتين في احداهما لم يذكر سفر استير وفي الثانية وصفه بأنّه مقبول من اناس ومرفوض من غيرهم ثم احصى اسفار العهد الجديد ولم يذكر رؤيا يوحنا بين الاسفار القانونيّة ثم ختم كلامه قائلًا هذا هو القانون الذي لا يُشك فيه ولا يجادل كانه ترك عمدًا ما كان موضوع البحث في ايامه (مين ٣٧ : ٤٧٢ و ١٥٩٣)

٦ (روفينوس) يجري مجرى سائر الكتبة ويدافع عن المقاطيع التي انكرها هيرونيموس افضل دفاع ولا يرضى الّا بما يسلّمهُ الآباء حسب النص السبعيني لكنّه ينقل جدول الاسفار الاولى تبعًا لنص القديس اثناسيوس ومع كونه ينكر في محل آخر استعمال الاسفار الثانية لاثبات العقائد تراهُ مع ذلك ينقل آياتها لتأييدها ويكرّر ضرورة قبول المجموعة السبعينية ثم يقول ان بطرس الرسول الذي جلس على الكرسي الروماني اربعًا وعشرين سنة قد سلّم ولا شك خلفاءهُ الاسفار التي يجب عليهم استعمالها لتحقيق التعليم الالهي وهي الاسفار المحفوظة في المجموعة السبعينيّة

٧ (القديس هيرونيموس) عاش سنين طويلة في الشرق ودرس اللغة العبرانيّة وعاشر علماء اليهود وعنهم اخذ جدوله المخالف لجدول الكنيسة الجامعة. ولكنه تردّد

مراراً في الامر فتراهُ تارة يرضى بالاسفار الثانية ويستعملها كاسفار الهية حسب التعليم الرسولي الشائع وتارةً ينكرها حسب تعليم اليهود في زمانهِ او يتردَّد في وحيها ولو اردنا تعداد النصوص التي فيهِ يظهر اعتقاده بوحيها لطال بنا الشرح على انهُ يقرّ مراراً عند نكرانهِ الاسفار الثانية بانهُ يخالف بذلك معتقد الكنيسة الجامعة في عصرهِ لكنهُ يستند الى معتقد المعلّمين الاسرائيليين ومن ثم يبيّن جلياً ان قانون الكنيسة اوسع من قانون اليهود فغلطهُ شخصي يعود اليهِ لا الى الكنيسة

هذه هي اهمّ النصوص التى اعترضوا بها علينا اوردناها كما هي وشرحناها شرحاً كافياً لكل طالب للحقيقة ولا بدّ من ان نقابلها باقوال الاباء والكتبة العديدين المدافعين عن قانونيَّة الاسفار الثانية وهي كثيرة جداً ولكننا حباً بالايجاز نكتفي بايراد الاحكام العامَّة والمجامع التي عُقدت في هذين القرنين وشهدت شهادة صريحة لمعتقد الكنيسة الجامعة وهذه هي :

١ (المجمع النيقاوي) ذكر القديس هيرونيموس في معرض كلامهِ عن سفر يهوديت ان المجمع النيقاوي المقدَّس قد امر ان يُقرأ هذا السفر كغيرهِ من الاسفار القانونية وايّد كاسيودورس العلامة في القرن السادس هذا الكلام ناشراً نصاً يُعزى الى المجمع النيقاوي . وكذلك الح مجمع قرطجنة الى نص عزاهُ الى المجمع النيقاوي في قانونية سفر يهوديت وغيره من الاسفار الثانية . لكن العلماء في ايامنا على رأيين : قوم يدافعون عن حقيقة هذا الحكم المجمعي ويعتبرون انهُ كان تهذيبياً فقط لا تعليمياً ولذا لم يعمّ الكنيسة الجامعة وقوم ينكرون حقيقتهُ والله اعلم

٢ (قانون شلتنهام) سنة ١٨٨٥ وجد العلّامة مومسن (Mommsen) بين مخطوطات فيلبس (Philipps) في شلتنهام (Cheltenham) جدولاً للاسفار القانونية يرتقي عهده الى سنة ٣٥٦ مسيحية عنوانه : جدول الاسفار القانونية للعهد القديم . وهو يتضمن كل الاسفار الاولى والثانية على حد سواء ويعدّد اسطر كل سفر من الاسفار وقد عرف قيمتهُ العلماء الكتابيون مثل بريشن (Preuschen) وتزان (Zahn) الالمانيين وتورنر (Turner) الانكليزي فنشروا فيهِ المقالات المفيدة ويظهر انهُ نص الجدول الرسمي للاسفار القانونية في كنائس افريقية نقلاً عن جدول الكنيسة الرومانية

٣ (الحبر الاعظم داماسيوس) (٣٦٦–٣٨٤) لهُ حكمٌ في الاسفار القانونية التي يجب قبولها وفي الاسفار الغير القانونية وهو جدول رسمي يحتوي على كل الاسفار الثانية مع الاولى وقد درسهُ درساً انتقادياً العلامة تيال (Thiel) وغيره من العلماء.

٤ (مجمع بونة اي هيبونة) (٣٩٣) اجتمع فيه مع القديس اغسطينوس جلّ الاساقفة الافريقيين ونشروا جدول الاسفار القانونية بتامهِ مع كل الاسفار الثانية وزادوا انهُ يجب ان يُطلب من الكنيسة الرومانية اثبات هذا الحكم. وهذا النص هو الذي لا تزال الكنيسة الشرقيّة والغربيّة تعوّل عليهِ. تجدهُ في مجموعة المجامع (مانسي ٣: ٩٢٤)

٥ (مجمع قرطجنة الثالث) (٣٩٧) حضره القديس اغسطينوس مع ٤٤ اسقفاً وبدَّدوا الحكم في قانونيَّة كل هذه الاسفار حسب نص المجمع الهيبوني (مانسي ٣: ٩٢٤)

٦ (الاسفار القانونية في الكنيسة الرومانية) (٤٠٥) في سنة ٤٠٥ اهدى هيرونيموس شروحهُ على نبوءة زخريا الى صديقة القديس اكسوبيروس اسقف تولوزا فما كاد هذا القديس يطالع ما ذكرهُ هيرونيموس في الاسفار الثانية حتى كتب الى القديس اينوشنسيوس الحبر الروماني يستنتيهِ فجاءهُ الجواب معلناً ان الجدول المسيحي للاسفار القانونية يضم كل الاسفار الثانية والاولى على حد سواء خلافاً لما قد ذهب اليهِ المخالفون (مانسي ٣: ١٠٤٠)

٧ (مجمع قرطجنة السادس) (٤١٩) حضره القديس اغسطينوس ايضاً وجُدِّد فيهِ الحكم في قانونيَّة الاسفار الثانية وزيد على النص: «هذا الحكم يجب ان يعرض على اخينا وشريكنا في الكهنوت بونيفاسيوس اسقف رومية وغيره من اساقفة تلك البلاد ليُثبت « لاننا هكذا استلمنا من الاباء » (مانسي ٤: ٤٣٠)

ويظهر من مقابلة التواريخ ان هذه المجامع الثلاثة اعانت بتقليد الكنيسة منكرة ما ارتآهُ القديس هيرونيموس خلافاً لهذا التقليد الرسولي. فقد اظهر سنة ٣٩٠ هيرونيموس مقدمتهُ على الترجمة التي نقلها عن العبراني ملمحاً الى شكّهِ بالاسفار الثانية وردَّد هذا الكلام سنة ٣٩٦ فكان جواب كنيسة افريقية في مجامعها الثلاثة ما ذكرناهُ من اقوالها

٨ (قانون الكنيسة الرومانية سنة ٤٩٦) المعزو الى الحبر الاعظم جيلاسيوس في مجمع حضره ٧٠ اسقفاً وفيه نشر جدول الاسفار القانونيّة وجدول الاسفار الغير القانونيّة ففي جدول الاسفار القانونيّة تجد كل الاسفار الثانية كما هي الآن وهذا الجدول هو الذي سبق فنشرهُ البابا داماسيوس

٩ حكم الحبر الاعظم القديس هورميسداس او هُرْمزد (٥١٤—٥٢٣) فانهُ اعاد نشر حكم سلفيّه داماسيوس وجيلاسيوس في قانونيّة الاسفار الثانية

واننا نقف عند هذا الحد تاركين الشهادات المأخوذة عن النسخ القديمة والترجمات التي ترتقي الى القرنين الرابع والخامس فان في ما كتبنا ادلّة لا ينبذهـا الّا المعاند والمكابر او الذي ينكر عصمة الكنيسة

الخاتمة : هدئ الجدال وساد السلام ولاسيا في الشرق بعد مـا ابرز مجمع الثبة حكمه جامعاً بين النصّين المختلفين وحاكماً بقانونية الاسفار الثانية (اطلب مقالتنا الاولى في المشرق ١٢ : ٨٠٠ الخ) فلا تكاد تجد في الشرق مخالفاً واما الكنيسة الغربية فلبثت محافظة على تقليدها لكن مؤلفات القديس هيرونيموس كثيراً ما القت الشكّ في عقول البعض لعظم الاعتبار الذي ناله القديس المانان في الاجيال المتوسطة الى ان قام البروتستنت فانكروا الاسفار الثانية كما انكروا كثيراً من العقائد فحرمهم الشرق والغرب (المشرق ١٢ : ٨١٥ الخ) وحصحص الحق وزهق الباطل والحمد لله (تمّ)

السرّ المَصون في شيعة الفَرْمسون

مقالة تاريخيّة ادبيّة عمرانيّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب الثاني

الماسونية والآداب الاجتماعيّة

وقفنا في الباب السابق على مبادئ الماسونية الصادقة بخصوص الدين واهله ونقلنـا عدداً وافراً من الاقوال الرسمية التي فاه بها زعماؤها فكلّها تنبئنا بان الغاية التي ترمي اليها تلك الشيعة انّما هي ثلّ عرش الدين وتقويض اساسهِ ونفي معتقداتهِ ومعـاداة اربابهِ وتبديد شمل نظامهِ الالهي

دعنا الآن نوجه النظر الى الماسونية لنرقب معاملاتها مع الهيئة الاجتماعية ومع ارباب السلطة المدنية ومع كل طبقة من الطبقات التي تتركب منها الاسرة البشرية

١ الماسونيّة والهيئة الاجتماعيّة

خُلق الله الانسان اجتماعياً فان احوالهُ وحاجاتهِ المختلفة منذ ولادتهِ الى موتهِ تدلّ على انهُ خُلق ليعيش في جماعة غيره من البشر فيستفيد منهم ويفيدهم كاحد اعضاء ذلك الجسم العظيم الذي لا يقوم بغير الائتلاف والتعاضد. ففي هذا المركَّب العجيب الرأسُ المدبر والعقل المفكر والقلب الحيي والعينان الناظرتان والمشاعر الحاسّة والاعضاء العاملة لا يخلّ منها عضوٌ بواجباتهِ ألا تأثر المجموع وتهدَّدتهُ الاسقام. ذلك هو الصرح الشامخ الذي ابتنتهُ ايدي الخالق ووطدت دعائمهُ فاذا مسَّهُ احد بأذى تزلزل البناء برمتهِ واصبح عرضة للآفات والخراب



ماسونيّ من ذوي الدرجة ٣٣
مع شاراتهِ وآلاتهِ المبنة بتدمير الهيئة الاجتماعيّة

فهلمّ نبحث عن فعل الماسونية بهذا البناء الالهي واعتبار «البنائين الاحرار» لهذه العمارة المشيَّدة بيد الخالق.

واوّل ضربة سمت الماسونية بان توقعها في الهيئة الاجتماعية نشرها للمبادئ الفاسدة بخصوص اصل العمران البشري

تعلّم الاديان — ولم ينقض حتى الآن علمٌ صحيح تعليمها — بان الله خلق الابوين الاوّلين فجعلهما جذراً للشجرة العائلية واوجد من العيلة العشيرة ثم القبيلة ثم الشعب ثم الدول بقوة كلمتهِ الخالقة: «اكثروا وانموا

واملأوا وجه الارض ». فكانت نتيجة هذا التعليم ان البشر عدّوا نفوسهم اولاد أب واحد واغصان دوحة واحدة امتدت فروعها فظللت كل انحاء المعمور

اما الماسونيّة فتنكر هذا الاصل الشريف وتجعل المادة ابديّة تترقى من تلقاء نفسها بكرور الدهور كآلة عمياء الى ان يتمخّض جمادُها فيلد النبات ويتحوّل النبات الى حيوان ويُنسل الحيوان انساناً همجيّاً ذا عقل ضعيف يقوى بالتجربة والاحتكاك. تلك مزاعم واوهام جعلها الماسون بمثابة المبادئ الراهنة فنشروها ترويجاً لمآربهم السيئة ليقدموا من اصطادوه بشركتهم انه لا شيء يلزمهُ من الفرائض والواجبات نحو العمران البشري فلهُ الحقُّ ان يقلبهُ ظهراً لبطن كما يشاء اذ ليس في العالم رأس ولا مرؤوس بحق الطبع وانما الفضل للجسور الجريء الذي تساعده الاحوال

قال الاخ ∴ راغون في كتاب شرحهِ الرموز الماسونية (١: « لا حق لاحد سواء كان ماسونيّاً او لا بان يشرح كُنه الطبيعة عموماً وطبيعة الانسان خصوصاً فيستخرج منها شرائع وتعاليم يفرض بها على جميع البشر. وكل من استعان بسلطة الهٍ أيّاً كان ليسنّ شرائع وتعاليم على الناس فهو كاذب خدّاع ». فيكون مؤدّى قولهِ الى ان تعاليم الفلسفة العقليّة كالشرائع الدينية لا تلزم الانسان في شيء فهو مُعتق من كل واجب نحو اي سلطة كانت لن روحيّة وان مدنيّة مما شهد لهُ العقل والوحي على خلافهِ .

وقال الاخ ∴ كلافل (٢ : « ان مسعى الماسونية العظيم بان تمحي بين البشر كل تمييز يفرق بينهم كشرف الاصل والاديان والمذاهب والاوطان... بحيث يصبح الجنس البشري عائلة واحدة فالدرجات الماسونية من طالب ورفيق واستاذ انما هي كيفيّة واستعداد لبلوغ تلك الغاية »

وقال الاخ ∴ لويس بلان في تاريخ الثورة (٣ يصف وَيسهوبت شيخ الماسونية ومنشئ الماسونية المنورة: « ان ويسهوبت فكّر في مشروع عظيم أشبه بمشاريع الجبابرة واخرجهُ الى حيز الوجود وذلك انهُ عرف ما في اجتماع الوف من الناس على الامر الواحد من القوّة اذا تولى انسان ذو عزم تهذيبهم بنظام وتدريج الى أن يصبحوا رجالاً جدداً

(١ اطلب تاريخهُ الفلسفي Ragon: *Cours philosophique et interprétatif*, p. 343

(٢ اطلب كتابهُ Clavel: *Hist. pittoresque de la Maçonnerie*, p. 213

3) L. Blanc: *Hist. de la Révolution*. t. II, 85

ويصيروا اطوع من البنان لرؤساء سرّيين فينقادوا لهم بطاعة عمياء لا تستنكف من الموت نفسه . فان فئة كهذه تستطيع ان تضغط على كل القلوب وتشل الملوك انفسهم وتسوس كل الدول على غير علمها بل تقود اوربة جمعاء الى ما تشاء من الغاء الخرافات الدينيّة ونقض كل سلطة ملكية ومحو كل امتياز اصالة النسب الموروث والفضل في ذلك كله لويسهوبت »

٣ الماسونية والملوك

ليس غرضنا هنا ان نبحث عن افضل هيئة الحكومات في الدول أهي السلطة المطلقة او السلطة المعتدلة بالدستور او سلطة الجمهور فاننا نعلم انّ كل سلطة رسخ قدمها في دولة ورضي بها الاهلون تعتبرها الكنيسة كسلطة شرعيّة يجب الخضوع لها مهما اختلفت هيئتها وفقاً لقول بولس في رسالته الى الرومانيين حيث يقول (روم ١٣–٨) : « لتخضع كل نفس للسلاطين العالية فان لا سلطان الّا من الله والسلاطين الكائنة انما رتبها الله فمن يقاوم السلطان يعاند ترتيب الله . . . »

ومع اعتبارنا لكل هيئات السلطة شرعيةً لا بد من افادة القارئ بان الهيئة الحاكمة قبل السنة ١٧٩٠ في معظم الدول الاوربية ان لم نقل كلها انما كانت الملكية فكان الناس يحسبون ملوكهم كظلّ الله على الارض ويكرمونهم بمنزلة نوّاب سلطته وان وجدوا فيهم خللًا ونقصاً تحملوه خوفاً من شرّ اعظم يحلّ بهم اذا خلعوا نير طاعتهم

امّا الماسونيّة فانها منذ قامت على قدم وأملت في تغليب مبادئها أصلت الحرب العوان على كل ذوي السلطة المدنية ولاسيما على الملوك . وكانت ذرّية بُربون هي الضابطة ازمّة الامر في الدول الكاثوليكية فزحفت الشيعة عليهم زحفة الثورة الكاسرة على فريستها وقد استخدمت لبلوغ غايتها ما اعتادته في هياكلها المظلمة من ضروب الخداع والمكر والخبث والدسائس فساق ذووها بعد أن تقيّدوا سرّاً بالاقسام المتلظّة الملكَ لويس السادس عشر الى منتع الدم ثم قتلوا ابنهُ لويس السابع عشر وتحاملوا على بقية ممالك البربون فنفوا اصحابها من مراكزهم . وما كانت الثورة الفرنسوية غير لهيب تلك النار الآكلة التي أججها الماسون في محافلهم ثم اضرموها في انحاء اوربة حتى التهمت

اقاصي البلاد ولم يخمد لظاها الّا بعد ان قلبتها ظهراً لبطن كبركان يقذف بحممه فلا يترك ولا يذر ويحوّل كل ما يمسّهُ الى خراب ودمار. وليست هذه الامور مبنية على الحدس والتخمين بل ظهرت بشواهد تاريخيّة اضوأ من النور كما اقرّ به الماسون في كتاباتهم السريّة بل يفتخرون بها كل حين افتخار الابطال بمآثرهم الخطيرة واعمالهم الاثيرة. ولو انكر علينا ذلك احد القرّاء اتينا له بالشواهد اللامعة والادلة الساطعة التي لا يمكن ردها مع اسماء الماسون الذين أفتوا بقتل الملك بغضاً بسلطته ليس الّا

وليس امر لويس السادس عشر امراً منفرداً جرى عن فتنة موقتة في ساعة يعمي الهوى بصيرة العقل لكن الماسونية قد جعلت قتل الملوك ونصب المكايد لاصحاب السلطة من ديدنها لأن كثيراً من رموزها وعلاماتها وشاراتها في الدرجات العليا ليست سوى تمهيد لمعارضة الملوك وثلّ عروشهم يكشفون معانيها السريّة شيئاً فشيئاً لمن يرونهم كفوءاً لذلك. منها الحروف D.˙. P.˙. L.˙. التي كانوا ينقشونها على اوسمتهم ومعناها (lilia pedibus destrue) «اسحق الزنابق بارجلك» يريدون بالزنابق ملوك البربون وهي شعارهم المعروف — ومنها الحيّات الثلاث التي سبق ذكرها وعلى رأس احدها تاج ملكي يؤتمر الماسوني بقطعه. وقد اختصر الاخ ديدرو (Diderot) امال البنائين الاحرار بهذا الشعار «ينبغي ان يُشنق آخر الملوك بمصران آخر الكهنة»

ولم يبق هذا الشعار قولاً فارغاً فان الذي يطالع تاريخ الازمنة المتأخرة من ايام الثورة الفرنسوية الى يومنا يجد ان عدد الآثام السياسية المجترحة ضد الملوك واهل السلطة في هذه المدة القصيرة يفوق ما ورد من ذلك في الف سنة وازيد. ولا تظن ان دولة واحدة نجت تماماً من مكايد الماسونية فلم تبكِ على بعض ملوكها او رؤسائها الذين ذهبوا ضحية الجمعيات السريّة. قتلوا في اسوج غستاف الثالث. قتلوا في فرنسة ابن الملك شرل العاشر الدوك دي باري. قتلوا في روسية اسكندر الثاني واسكندر الثالث. قتلوا في النمسة الملكة اليصابات. قتلوا في ايطالية الملك همبرت الاول. قتلوا حديثاً في البرتغال شرل الثاني. هذا فضلاً عن الذين سعى الماسون في قتلهم فحبط مساعهم كما جرى للملك لويس فيليب وللامبراطور نابوليون الثالث وللقيصر نيقولا الثاني وللملك القونس الثاني عشر وغيرهم كثيرين

وليس بغض الماسون للملوك وحدهم بل لرؤساء الجمهوريات ايضاً فهم ضحّوا

لانتقامهم غرسيا مورينو رئيس جمهورية خط الاستواء من اعظم رجال عصره الذي لم يقترف اثماً آخر سوى قيامهِ في وجه الفوضى فضربهُ الماسون ومات صارخاً: « ان الله لا يموت ». وهم الذين قتلوا سنة ١٩٠٢ ماكنلي رئيس الولايات المتحدة

ومن هؤلاء الملوك والرؤساء من كانوا منتظمين في الماسونية الّا انهم حاولوا ان يخلعوا نيرها الممقوت او يستقلّوا بالعمل فما لبث الماسون ان ذكّروهم بمواعيدهم تارة بالسيف وتارةً بالسمّ وحيناً بالقنابل المتفجرة كنابوليون الثالث لمّا اطلق عليهِ الماسوني اورسيني قنبلتهُ فنجا منها. وغيرهم لم ينجوا كالرؤساء غامبتا وسادي كرنو وفيلكس فور الذين قتلوا بدسائس اخوتهم الماسون. ومثلهم دي نست (de Nast) وستروماير (Stromayer) منشئا جميّة اوربة الفتاة. وكتزبو (Kotzebue) والكنت دي روسي (C. de Rossi) وآخراً بطرس باشا غالي ولكل واحد منهم قصّة لا تبقي ريباً في فظائع الماسونية

وانّما هذا برضٌ من عدّ وقطرة من بحر فانّنا لو اردنا ان نتبع آثام الماسونية لملأت المجلّدات الضخمة اذ لا يمرّ علينا سنة بل شهر دون ينقل الينا البريد شيئاً من مآثر الماسون. وقد نقلنا سابقاً شهادة احد كبار المؤرخين البروتستان الذي اكّد صريحاً بانهُ لم يجرِ منذ السنة ١٧٩٠ الى زمانهِ مُصاب أليم الّا وللماسونية فيهِ يد طولى. بل ترى الماسون اذا جرى انقلاب في دولة نسبوا الامر الى ذويهم وعدّوه مأثرةً تُذكر لهم فتشكر

والشيع السرّية هي كمألوف عادتها لا تجاهر بعداوتها لكن تسير مع كل دولة بالمداراة شأن الحية تحت الزهور حتى اذا سنحت الفرصة نفثت بسمها القتّال. واذ نحن نكتب هذه الاسطر نرى تحت اعيننا كتاباً فرنسوياً عنوانهُ « La Girouette maçonnique » ما يمكن تعريبهُ « بأبي براقش الماسوني » فيثبت فيهِ كاتبهُ ل. تورمانتان (L. Tourmentin) بالنصوص العديدة تقلُّب الماسونية في معاملاتها مع كل دولة جديدة فاذا ظهرت دولة اسرع الماسون وسجدوا امام الشمس الشارقة وعظموا الدولة الحديثة وقدموا معاريض الولاء والطاعة حتى اذا أمنوا ضرباتها عادوا الى دسائسهم الخفية واحتجبوا وراء ستار محافلهم المظلمة. ومن يقرأ هذا الكتاب لا يتمالك عن الازدراء بهذه الشيعة الدنيئة النفس التي تتزيّا بكل الازياء لتبلغ غاياتها الوخيمة

٣ الماسونية والشعب

يتبادر الى الفهم ممّا سبق ان الماسونية لا تعاكس الملوك الّا لتحرّر الشعب وتفكّ اغلالهُ كما تزعم وتعيد لهُ سلطتهُ السلوبة. وكثيرًا ما تسمع الماسون يردّدون بملء الاشداق ان السلطة للشعب وان الشعب هو الملك الذي يجب ان يقلّد الحكم واشياء كثيرة مثل هذه توهم السامعين بان الماسون يشتغلون لخير الشعب وان غايتهم كفّ الظلم عن اعناقه لينال الحريّة والمساواة. فكأني بهم يصرخون الى الشعب كالسيد المسيح لذكرهِ المجد: «تعالوا الينا ايها المضنكون والثقيلة احمالهم ونحن نريحكم»

فدعنا ننظر ما تحت هذا الكلام من الدسم وما تحت القشرة من اللبّ. واول ما يكشف لك كذب الماسون انهم لا يقبلون في محافلهم الفقراء والعملة ورجال الشغل الّا الذين يمكنهم ان يدفعوا مبلغًا وافرًا لينالوا «ذلك الشرف السامي». فان كان الماسون يحبون الشعب فما لهم لا يجعلون لهُ حصّة في اعمالهم ويستشيرونهُ كما يستشيرون اخوتهم بالشيعة ؟

والصحيح ان غاية ما يطلبون من الشعب ان يسوقوه كالاعمى الى مآربهم ويكون في ايديهم كآلة صمّاء للفتن والثورة يتسترون وراءها فتكون المسؤولية على الشعب لا عليهم (والثلّة على العميان). وليس كلامي قولًا بلا سند. ورد في قوانين الماسونية التي طبعها شرق فرنسا السامي سنة ١٩٠٢ (ص ٩) (١: «لا يستطيع احد ان يُنظم في سلك الماسونية ويحصل على حقوقها ما لم يكن حاصلًا على وسائط كافية لمعاشهِ ضامنة لشرفهِ». فكيف يتدنس الماسون بعد هذا بمخالطة الفعلة والفلاحين وعموم الشعب (تعقّلوا يا محبوبين!)

وجاء في النشرة الرسمية التي طبعها زعماء الماسون سنة ١٨٩٠ (Bulletin du Gr.·.O.·., 1891, p. 560): «يلزم ان يبقى هيكلنا محروسًا مصونًا لا يدخلهُ غير الناس المتبرين (الاوادم) كما هي العادة الجارية بيننا وعلى مألوف تقاليدنا الماسونية. ولكنّنا نريد ان تكون جماهير الشعب تحت يدنا نستعين بها للعمل». افسمعتم ايها

1) Constitution et Règlement général de la Fédération du G.·.O.·., 1902. p. 9

البسطاء الذين تدعون «كالطرش» تحت رعاية هؤلاء القادة؟ مرادهم منكم ان تطبخوا الطبخة فيأكلوها هم هنيئة مريئة

هذا يصيد وهذا يأكل السمكْ

وكان ڤلتير الماسوني يسمي الشعب اوباشاً (la Canaille)

وان قال قائل: انهُ من المعلوم ان الماسونية تسعى في نزع السلطة عن الملوك والاشراف لكي تمهد بها الى الجمهوريات والجمهوريات يديرها الشعب باختياره نوّاباً ينوبون عنهُ في مجلس الامة. أجبنا ان غاية الماسونية ليست هي انشاء الجمهوريات وانما الجمهوريات في يدها كواسطة الى الفوضى وقلب كل سلطة وان شككتَ من صحة قولنا فاسمع ما فاه بهِ ويسهوبت منشئ الماسونية الثورية (١):

« قد سمعتمونا ونحن نتزعزع بالاستبداد والظلم اللذين يتّسم بهما الملوك والاشراف ولا تظنوا ان الشعب المتمالك والمشترع يخلو منهما كلّا ثم كلا. فاي حق يا ترى للاغلبية ان تضغط على حريتي وتخضعني انا والعددَ الاصغر لاوامرها... ان السلطة الجمهورية هي كبقية الهيئات المتسلطة فكلّها منافية للطبيعة البشريَّة... ان عيشة الطبيعة ان يكون كل الناس احراراً متساوين لا تحصرهم الشرائع ولا تقهرهم السلطة يستوطنون الارض كابا كيفما شاؤوا وحيثما شاؤوا ». اعني ان اقصى غاية الماسون ان يجعلوا الناس همجاً اهمالاً يعيشون كالحيوانات في البراري والقفار. وتلك كانت تعاليم الماسوني الكبير جان جاك روسّو التي نشرها بلا حياء في تآليفهِ الوخيمة وخصوصاً في كتابهِ المعروف بالعهد الاجتماعي (Contrat social) والماسون يعدّونهم لهذا رجل السوء يصادقون على مبادئهِ الفاسدة او بالحري يرددون كالببغاء ما يسمون

٤ الماسونية والوطنية

طُبع الانسان على حبّ وطنهِ وارضهِ التي نشأ فيها واستنشق نسيمها وحكى لغتها وألف عاداتها وتدبّر إسنتها. فاذا سمع اسم الوطن رقصت لهُ جوارحهُ وطرب سمعهُ واذا اضطر الى فراقهِ كئب وتحسّر كانهُ فقد قسماً من هنائهِ

(١) اطلب Fava: *La Franc-Maçonnerie Doctrine, Histoire, Gouvernement,* p. 52

وقد تخالف الماسونية في ذلك مشاعر سائر البشر فان كلمة « الوطن » لذويها كلمة فارغة من المعنى واسم بلا جسم. ومما يشهد على صدق قولنا ما اوردناه في الفصل السابق من الشواهد الواضحة. وهذه اقوال اخرى تزيد الامر بياناً

قال ويسهويت منشئ الماسونية النورة (١): «ان وطن الماسون الاحرار ليس هو انكلترة او اسبانيا او المانيا او فرنسة بل العالم كله . . فاتركوا اذاً مدنكم وقراكم واحرقوا بيوتكم . . . كونوا احراراً متساوين فتكونوا اولاد المعمور كله وابناء العالم اجمع . اعرفوا كرامة المساواة والحرية فلن تخافوا على الاطلاق حريق المدن والقرى التي تدعونها وطنكم سواء كانت رومية او فيانّة او باريس او لندن او الاستانة. هذا هو السرّ العظيم الذي كنّا نصونهُ عنك ايها الاخ والصديق الى يوم بلوغك الى هذه الاسرار».

فترى انّ الماسوني لا يعرف وطناً آخر ألا العالم. وما سوى ذلك فاولى بالحريق والدمار

واوضح من هذا ما ورد في تعليم الجندي (Catéchisme du soldat) الذي سعى بنشره احد شيوخ الماسونية الاخ ∴ الان (Allemane) حيث يقال في تحديد الوطن ما تعريبهُ الحرفيّ: «الوطن خيال باطل وكذب محض. ان الوطن هو كل ما يغتصبنا وما يجب علينا بغضهُ» (كذا)

وفي هذه السنين الاخيرة كان الماسوني هرفه (Hervé) مفرغاً كنانة جهده في معاكسة الجندية ونشر الكتابات المهيجة للجند على قوادهم معلناً بان الجندية عارٌ على الانسانية وان عصيان المتجندين واجب مقدّس. واشياء كثيرة كهذه بثّها في الجرائد ووزعها في ثكنات العساكر. وقد وافق كثير من الماسون على اقوال هرفه منهم الاثيم فرّير الذي قُتل في العام الماضي بعد محاكمةٍ الشرعية فهبّ الماسون في اقطار العالم للدفاع عنهُ . وهؤلاء يزعمون ان الرايات الوطنية آية الظلم والاستبداد فيجب ان تلقى في المزابل. بل انشأوا جرائد يسبّون فيها الجندية ونظامها . منها جريدة پيوپيو دي يون (le Pioupiou de l'Yonne) التي اهان صاحبها شرف العسكرية باقذع الكلام وافظع الشتم فأقيمت عليهِ دعوى في اوسّار (Auxerre) فارسل رئيس محفل الماسون هناك قراراً الى القضاة يعلن فيه ان كل الماسون يصادقون على اقوال الكاتب

١) في القسم التاسع من دستوره في الفصل الذي عنوانهُ «La Mage et l'Homme roi»

وانهم أنفقوا من مالهم لنشر مقالاتهِ (١ ومن جملة ما كتب المذكور تحريضهُ للجنود بقولهِ : « اقتلوا ضبّاطكم مهما كانت درجتهم في العسكر . . اخلعوا نير التقاسيم الدوليّة وانزعوا التخوم البلديّة بل أنفوا عنكم كل وطنيّة »

ولما خان دريفوس وطنهُ وباع لالمانية اسرار عسكريّة فرنسة ولاحت خيانتهُ كنور الشمس لم يزل الماسون اخوتهُ في قيام وقعود مدة بضع سنوات حتى تمكنوا من تبييض ذلك الحبشي بصابونهم العجيب

وقد بلغ بغض الماسون للوطن الى انهم قرّروا على مشايعيهم اذا كانوا في حرب ورأوا بين الاعداء ماسونيًا كفّوا عن محاربتهِ . قال الاخ ∴ بولي (Bouilly) في خطبة وجّهها الى الجنود المنخرطين في الشيعة : « في الحرب اياكم ان تميّزوا بين امة وامة وبين زي عسكري وآخر فانظروا فقط الى اخوتكم في الماسونيّة وتذكّروا الاقسام التي ربطتم بها نفوسكم (٢ »

وقد وضع الماسون علامة خصوصيّة يتعارف بها الجند في ميدان الحرب فلا يقاتلون بعضهم بعضًا اذا رسمها احدٌ امامهم

فما قول ماسون بلادنا في كل ذلك ؟ أفتراهم في قلوبهم العثمانيّة والحميّة الوطنيّة على هذه المبادئ الفاسدة او يقومون بواجباتهم الحربيّة في تضحية كل نفس ونفيس حتى الوطن العزيز للماسونيّة سيدتهم ؟

ونجعل مسك الختام لهذا الفصل ذكر ما دار بين اعضاء المؤتمر الماسوني الدولي المنعقد في باريس سنة ١٩٠٠ تحت نظارة الرئيس ∴ لوسيبيا (Lucipia) فانهم طلبوا « بان تنشأ لجنة دوليّة يسعى فيها اعضاؤها بعقد المبادئ الماسونيّة وخصوصًا بانشاء جمهوريّة واحدة تعمّ كل العالم (٣ » . فما اعزّ الأوطان على قلوب الماسون !!

• الماسونيّة و[illegible]

ان كان الماسون يضحّون الوطن على مذابح احكامهم فما قولك بالعائلة فانها ليست اعزّ شأنًا واحقّ اكرامًا من الوطن

---

١) اطلب (Manuel antimaçonnique par J. Tourmentin, p. 59)

٢) ورد هذا الخطاب في النشرة الماسونيّة المدعوة الكرة (Le Globe) (ج ٤ ص ٤)

٣) اطلب دلامار (ص ٥٣) Delamare: *Le Franc-Maçon voilà l'ennemi*,

وضع الله العائلة اساساً اوّل للمجتمع الانساني. فربط الابوين برباط من الوداد والوحدة لا يحلّهُ البشر ووجَّه عنايتهما الى تهذيب اولادهما ليرثوا فضائلهما من بعدهما

وقد عرفت الماسونيَّة ان مساعيها في خراب الأُلفة البشريَّة تذهب ادراج الرياح ان لم تباشر بمناجزة القتال للعائلة وتكل افرادها فنصبت مناجيقها على هذا الحصن لتدكَّهُ وتساويهُ بالدقعاء.

١ ﴿ رأس العائلة ﴾ الاب في العائلة رأسها وسندها والحامي عن ذمارها فاذا اهمل واجباتهِ نحوها تضعضعت وتلاشت. فالماسون لا يألون جهداً في اجتذاب ارباب العيال الى شيعتهم ليقودوا بهم على سائر افراد العائلة

روى المؤرخ كراتينو جولي (١ ان بين الاوراق السريَّة التي اكتشفها وزير الدولة البابويَّة وكتبها اليهودي المتنكر تحت اسم بيكولو تيغري (Piccolo Tigre) من زعماء الماسونيَّة الداخليَّة في ١٨ ك ٢ سنة ١٨٢٢ تليها هذا تعريبهُ الحرفي:

« انَّ الامر الجوهريَّ في استمالة الناس الى جماعتنا انَّما هو إفراد الرجل عن عائلتهِ وإفساد اخلاقهِ.. فاجتذبوهُ واسحروهُ واذا ما فصلتموهُ عن امرأتهِ واولادهِ وجسَّمتم لهُ مشاقَّ الواجبات الاهليَّة ومصاعب المعيشة البيتيَّة رغّبوا اليهِ العيشة الحرَّة واقنعوا في قلبهِ السأم من الديانة ثم خاطبوهُ بما يحبّب اليهِ الماسونيَّة وادعوهُ الى الانخراط في مصاف المحافل الماسونيّ الأكثر قرباً »

وبين الاقسام التي يرتبط بها الماسون في بعض المحافل وخصوصاً في الماسونيَّة المعروفة بالمتورة ما نصُّهُ العربي: « اني اقطع كل العلاقات الجسديَّة التي تربطني باحد من الناس سواء كان اباً او اماً او اخوانًا او اخوات او زوجاً او اقارب او رؤساء او محسنين او غيرهم ممن اقسمتُ لهم بالطاعة ووعدتهم بالولاء والحب »

٢ ﴿ الزواج المدني ﴾ ومن اقوى الاسباب التي تصون العائلة وتحميها وتؤهلها لخدمة الالفة ان يعيش الابوان بالوفاق الدائم فيلازم الرجلُ امرأتهُ والمرأة رجلها فيصيران جسداً واحداً طول حياتهما دون ان يمكن انساناً ان يحلّ ما جمعهُ الله. ومن ثم كانت الشرائع المدنيَّة في كل انحاء اوربَّة تتفق مع السنن الالهيَّة في منع فكّ الزواج قياماً بوصيَّة السيّد

(١ اطلب كتابهُ: الكنيسة الرومانيَّة بازاء الثورة L'Eglise Romaine en face de la Révolution, II, 104

المسيح الذي اعاد الزواج الى شرفهِ الاول وثبّت اركانهُ (مت ١٩: ٤-٩) وابطل ما سمح بهِ موسى لقساوة قلوب بني اسرائيل

اما الماسونيّة عدوّة المجتمع الانساني فانها رأت في الزواج الدّني وسيلة كبيرة ونصيراً فعّالاً لادراك غاياتها بسوابقيّة الطلاق حيثما أمكنها بل سعت لدى الدول بان تلغيهُ من دساتيرها الشرعيّة لتفتح للاهواء والخلاعة باباً واسعاً بسنّ الزواج المدني الذي ينفي الله ورجال الدين من حفلة الزواج كأنّ هذا السرّ صك مبايعة بين اثنين يجوز لهما ان يتصرفا بهِ كيفما شاءا ويبطلاه اذا عنّ لهما فيعرّضا الاولاد لكل الاخطار بعد افتراقهما

قال الماسوني هلفتيوس (Helvetius) في كتابهِ عن الانسان (De l'Homme c. 3.): «اذا كفّ الزوجان عن الحب المتبادل ودخل النفور في قلبهما فلأيّ سبب يُقضى عليهما بان يعيشا معاً ... ان الشريعة القاضية بالاقتران غير المنفصم انّما هي شريعة بربريّة ظالمة

وسأل رئيس المحفل المترشح لبعض الدرجات الماسونيّة: «ما رأيك في الطلاق؟» فيجيب: «انّ السنّة القائلة بمنعهِ مخالفة للطبيعة»

وكان الماسوني فولتير في المعجم الفلسفي (في مادّة طلاق Divorce) سبق فقال: «ان الطلاق التام والزواج قبل وفاة المطلّقة بامرأة اخرى حق طبيعي». لا بل يرتئي «ان الزنى ليس بمحظور اذا تسامح الرجل بامرأتهِ لغيرهِ» (في المعجم الفلسفي في مادة زنى Adultère)

وقال احد شيوخ الماسونيّة دورفويل (d'Orfeuil): «ليس الزنى باثم في شريعة الطبيعة. ولو بقي البشر على سذاجة طبيعتهم لكانت النساء كلهنّ مشتركات بينهم (١)»

٣ ﴿ المرأة ﴾ هي الركن الثاني الذي تقوم بهِ العائلة وكما خوّل الله للاب القوّة والنشاط والجد في العمل للدفاع عن العائلة والقيام بحاجاتها كذلك أعطى الام التؤدة والانس وطول الأناة لتربية الاولاد وترويض اخلاقهم فتعدّهم ليكونوا يوماً عضداً للاوطان. وقلّما يحيد الولد عن تعاليم امهِ اذا احسنت تهذيبهُ في حجرها وفقاً لما جاء في المثل: «علمٌ في الصغر نقش في الحجر»

(١) اطلب كتاب ديشان في الجمعيّات السريّة (Deschamps: *Les Sociétés secrètes* I, 118)

فالماسون حاولوا ايضاً دكّ هذا الركن العائلي كما عمدوا الى تقويض الركن الاول . فتراهم في كل مؤتمر ماسوني يكرّرون الرجاء باجتذاب المرأة الى محافلهم لتحريرها كما يزعمون وما غايتهم الّا ان يجرّدوا عنها الدين ويلقوا بها في ردغة الفساد

وقد اجتهد الماسون منذ رسوخ قدمهم في انكلترة وفرنسة في اواسط القرن الثامن عشر ان يفتحوا محافل انثوية فلم ينجحوا في هذا المشروع الّا نوعاً فانهم جمعوا عدداً من النساء التائقات الى الحرّية وادخلوا في تلك المحافل كثيراً من العادات التي رأوها جديرة باستلفات النساء كالآدب والمراقص والهياكل المزدانة بالحلي والخطب النسائية والوقوف على بعض الاسرار والاجتماعات المختلطة من ماسون يدعونهم « فرسان الورد » وماسونيات يُعرَفنَ « بعرائس الورد » فما لبثت ان تعطّرت المحافل من اريج ذلك الورد النقيّ فجرى ما جرى واضطرّت الحكومة ان تقفل « تلك الكراخين » .

ثم عاد الماسون مراراً فاستأنفوا فتح المحافل الانثوية لعلمهم بأنّ النساء من اقوى العوامل للفوز بالمرغوب اي نسف الدين ونشر الفساد

قال الاخ ∴ بوكيه (Beauquier) في حفلة ماسونية عُقدت في بزانسون سنة ١٨٧٩ : « تأكدوا أننا لسنا منتصرين تماماً على الخرافات (اي الدين) الّا يوم تُشاركنا فيه المرأة بالعمل فتمشي في صفوفنا وتجاهد معنا »

وقال سنة ١٨٩٩ اصحاب مؤتمر بولوني (Boulogne-sur-Mer) : « يجب علينا ان نكسب المرأة . فأيّ يوم مدّت الينا يدها فُزنا بالمرام وتبدّد جيش المتصرين للدين »

وفي السنة التالية في مجتمع الماسون العموميّ قام الرئيس بوفره (Bouvret) فقال : « لا بدّ لنا ان نجعل المرأة رسولاً لمبادئنا الحرّة فنخلّصها من نفوذ الكهنوت »(١)

وقد أُنشئت في هذه العشر السنين الاخيرة عدّة محافل مختلطة مركزها في باريس ولندن تحت اسم « الشورى العامّة العليا المختلطة Suprême Conseil universel mixte » ولا غرو انّها اتت بثمارها الطيبة من حرّية الفكر والعفاف الماسوني !

(١) اطلب الكتابين الآتيين : المرأة عند الفرمسون Tourmentin: *La Femme chez les Francs-Maçons*, وكتاب الماسونيّة والمرأة G. Soulacroix: *La Franc-Maçonnerie et la Femme*.

٤ ﴿ الولد ﴾ هو منتهى حبّ الوالدين وغاية الألفة البيتيّة فينشأ الصغير مشمولاً بانعطاف والدَيه ينال منهما قوتهُ وبُغيَة حاجاتهِ فترشدهُ الطبيعة وضعيهُ معاً الى طاعة علّتي وجودهِ واكرامهما طول حياتهما والى خدمتهما في شيخوختهما

وقد اعترضت الماسونيّة على هذه الواجبات البنويّة وانزلت الوالدين والاولاد منزلة الحيوانات غير الناطقة فتارةً تجعل المحبّة الوالديّة محبّة شهوانيّة خسيسة وتارةً تنكر على الابوين حقوق الطاعة والوقار من قبل اولادهما بعد سنّ الرشاد وحيناً تعلّم الاولاد نبذ السلطة الوالديّة . قال الماسونيّ هلفتيوس (في كتابهِ عن الانسان ف ٨): « ليس الوثاق الذي يصل البنين بالآباء شديداً متيناً كما يُظَنّ . . . والوصيّة الآمرة باكرام الاب والامّ تثبت انّ محبّة البنين للوالدين هي اقرب الى العادة والتربية منها الى الطبيعة » . كانهُ يقول لولا انّ الابوين يلقّنان اولادهما الطاعة والحبّ لهما لما ارشدتهما الطبيعة وصواب العقل الى ذلك

وقال ديدرو الماسوني صديق فولتير في كتابهِ عن الآداب العموميّة : « انّ سلطة الآباء على البنين ليست مبنيّة الّا على المنافع الخاصّة التي يؤمّلون تحصيلها منهم »

وقال الماسوني رينول (في كتابهِ عن مذهب الطبيعة ك ١٨ ع ١٢) : « ان سلطة الآباء على بنيهم تزول حين يتمكن البنون من القيام بأود معيشتهم »

ومثلهُ دالمبر وصيف الماسون واحد ائمتهم (راجع مادّة الاولاد في دائرة المعارف المعروفة بالانسكلوبيديا) قال : « من المقرّر ان خضوع البنين لوالديهم لا يجب ان يدوم الّا في الوقت الذي يكون فيهِ الاولاد في حالة الجهل والعجز »

وقال ويسهوبت منشئ الماسونيّة المنيرة (في كتاباتهِ الاصليّة ك ٢ ف ٢) : « ان السلطة الابوية تزول حين يبلغ الولد اشدّهُ فاذا اراد الاب ان يحفظ سلطتهُ بعد ذلك على بنيهِ تجاوزَ حقوقهُ وألحق الاهانة باولاده »

وورد في كتاب الخطيب الماسوني (Willaume: *L'Orateur franc-maçon*. p. 456) « ليست معرفة الجميل واجباً لازماً على البنين لوالديهم وانما هي شيء اختياري . والولد اذا بلغ سنّ الرشاد أُعتق من حكم الطاعة لوالديهِ »

وقد علّم الماسون بعض الاولاد في فرنسة اذا ما اذيهم اهلهم او ضربوهم أن يقيموا الدعاوي على والديهم ليُزجوهم في الحبس

فكل هذه الشواهد تنطق بلسان حالها عن اعتبار الماسونيَّة للعيشة العائليَّة . فالويل ثم الويل لمن يلقي بنفسهِ بين مخالبها (له بقية)

لا يمكن ولا يجوز
ان تكون المدارس علمانيَّةً بلا دين

نظر فلسفي للاب لويس شيخو اليسوعي

علمتَ حفظك الله من مقالتنا المتقدمة « المدارس العلمانيَّة والاديان » (في المشرق ص ٦٢٠) ان المدارس اللادينيَّة — مهما زعم اربابها — تعادي كل اديان الشرقيين وتنسف معتقداتهم نسفاً بانكارها لوجود الخالق وخلود النفس ووقوع الوحي والثواب والعقاب. اثبتنا ذلك من نفس الكتب التي يتَّخذها اصحاب تلك المدارس كدستور لتعليم طلبتهم الآداب فانتزعنا منها عدَّة نصوص تنفي الحقائق الدينيَّة التي يتَّفق في صحتها النصارى والمسلمون واليهود على سواء.

وها نحن الآن نوسّع نطاق هذا البحث فنبيّن من وجه آخر انَّ منشئي المدارس العلمانيَّة لا يمكنهم ان يحترموا جميع الاديان ويجاوا تعليمهم مستقلًّا عن كلّ دين كما يزعمون وهذه المرَّة نضرب الصفح عمَّا يعلّمهُ اولئك الاساتذة وانَّما نبحث بحثاً نظريًّا فقط فنقول : اوّلًا ان المدارس العلمانيَّة لمجرَّد استقلالها عن التعليم الديني هي معادية ضرورةً للدين. اعني انهُ لا يمكن مطلقاً ان تتجرَّد المدرسة عن الدين دون ان تعاديهُ. وثانياً اذا افترض انَّ مدرسة يمكنها الحياد عن الدين تماماً فلا يجوز لها ذلك نظريًّا وادبيًّا وان فعلتْ اقترف اصحابها اثماً كبيراً

١ من المستحيل ان تحيد المدارس العلمانيَّة عن الدين دون معاداتهِ

ليس الكلام هنا عن بعض المدارس الخصوصيَّة العالية التي يقتصر اصحابها على تعليم العلوم النظريَّة كالرياضيات والجبر والهندسة او العلوم الفلكية كالهيئة والنجوم او العلوم الجغرافية او اللغوية لاسيما اذا كانت تُلقى تلك الدروس في نوادٍ عمومية كما هي

العادة في الكليات على مسامع شبان في مقتبل العمر او حضور احرار يتصرفون باعمالهم كما يشاؤون فيحذرون من تحامل العاملين على الدين

وانّما نتكلم من المدارس الاولية والثانوية داخلية كانت او خارجية ممّا اخذ اربابها على نفوسهم ان يقوموا بتعليم الولد وتهذيب عقله وترويض اخلاقه وتخريجه في الآداب الحسنة ومواصلة التربية البيتية التي باشر بها ابواه فلم تسمح لهما الاشغال بانجازها فيعهدان بذلك الى المدارس لتنوب اصحابها عنهما ليس في التعليم فقط لكن في التهذيب الذي لا ينفصل عنه . فنقول انّ هذه المدارس لا يمكنها ان تضرب الصفح عن الدين بل تدكّ اركانه شاءت ام ابت وهذه براهيننا:

١ انّ الولد اذا بلغ سنّ الرشاد وانجلت عن عقله غياهب الجهل وجّه من وقته نظر بصيرته الى ذاته فيرى جسده مع كلّ مشاعره وحواسّه المختلفة . يشعر بنفسه التي منها ينال النموّ والحسّ والحركة . يدرك ما في تلك النفس من القوى العجيبة كالفهم والنطق والارادة بينما يرى الحيوانات العجماء خالية من ذلك . يسمع في باطن قلبه صوتًا سرّيًا يردعهُ عن فعل الشر ويسوقهُ الى عمل الخير . فيخطر على باله لا محالة ان يطلب سببًا لكل ذلك ليعرف من هو علّة وجوده وما اصلهُ ومن غرس في قلبه تلك الشواعر . فمهما يبالغ في البحث تزيد رغبتهُ في حلّ هذه المشاكل . واذ يرى بقربه معلميه واساتذته الذين وُكلت اليهم تربيتهُ فلا بدَّ ان يعرض عليهم الاسئلة في كلّ ذلك . فماذا يكون رعاك الله جواب اولئك المهذبين ان كان تعليمهم مستقلًا عن الدين ؟ فان اجابوه انهم لا يعلمون زادوه ريبًا وعذابًا وان انكروا عليه وجود الخالق كما ورد في كتبهم اوقعوه في وهدة الكفر

٢ وكما يريد الولد ان يعرف سبب وجوده يتوق الى معرفة مصيره فيجول في فكره امرُ نفسه . فليت شعري ما هذه النفس وما تركيبها ؟ أهي قسم من جسدي هيولية مثله ؟ ولكن كيف تعقل وتفهم ؟ واذا مات الانسان هل تموت معهُ النفس وتضمحلّ ؟ ألا يبقى شيءٌ منهُ بعد موته كالهرة والكلاب التي تُلقى على المزابل ؟ فان بقي ماذا يحلُّ به ؟ وان نفنى كلّنا ونتلاشى فما لنا نجهد نفسنا « فلنأكل ونشرب فانّا نموت غدًا » (اشعيا ٢٢ : ١٣) . فقل لي ناشدتك الله ان كان الولد في مدرسة علمانيّة مستقلّة عن كلّ تعليم ديني ولا يوجد احد يكشف له اسرار حياته بل ينكرون امامهُ خلود النفس

(كما ورد في كتب تعليم هذه المدارس) أيكون تعليمهم هذا حياداً عن الدين او ليس هو بالاحرى معاداةً للدين ؟

٣ انَّ الولد لا يقصر نظرهُ على نفسهِ لكنهُ يرى حولهُ عالماً كبيراً : سماء مرصّعة بالنجوم الساطعة . ارضاً منمّقة بالازهار العطرة . بحوراً زاخرة جبالاً راسية شمساً نيّرة بدراً منيراً . فهل صنع او قام او قد وجد الطبيعة في طريقهِ فما هذه الطبيعة ؟ ومن اخرجها الى حيّز الوجود ؟ اوليست هي دهريّة ؟ ولعلها تسود عليهِ وتحكم على اعمالهِ . فلولا الشمس لمات برداً وعاش في الظلمة . فما لهُ لا يعبد الشمس ؟ فماذا يصنع ارباب المدارس اللادينيّة ليزيلوا هذه الشبهات . ان قالوا انهم لا يعلمون خدعوا الولد بمذهب اللاادريين وان نكروا وجود مبدع الكون زال حيادهم المزعوم وزجّوا بالولد في اعماق الكفر

٤ تعرض للولد منذ حداثة سنهِ كما يعرض لبقيّة البشر في حياتهم مشاكل تشغل فكرهُ ولا تدع لهُ راحة ريثما يحلّها . بخصوص نفسهِ أهي مادّية او روحيّة زائلة او باقية زمنيّة او مخلدة ؟ . بخصوص الشريعة ايكون الانسان حرّاً يقول ويفعل ما يشاء او هو مقيّد بالشرع وبشيئة مشترع يقضي عليهِ بالعمل ؟ . بخصوص رؤساءهِ الروحيين والزمنيين ألهم عليهِ حقوق ام لا ؟ . هذه واشياء كثيرة اخرى تنخس قلوب البشر منذ صغرهم وتبقى فيها كالاشواك ما لم يُزِلها تعليم المعلم وتهذيب المدارس . فان كان هذا المعلم يعدُّ كل ذلك من الخرافات ويضرب الصفح عنهُ افليس هو المسؤول عمّا يطرأ على الولد في حياتهِ من اسباب القنوط ؟ وان تنازعتهُ الاهواء كسفينة لا دفّة لها وألقتهُ في تيّار الالحاد وفي لجج الكفر والاباحة دون سلاح الى مذاهب الماديين والاشتراكيين والفوضويين ألا تكون هذه العاقبة نتيجة تعليمهِ اللاديني ؟

٥ انَّ اولاد المدارس العلمانيّة كغيرهم مهما صمّوا آذانهم سوف يسمعون اسم الله عزَّ وجلَّ او يقرأونهُ في بعض الكتب وكذلك يطّلعون على اخبار خلقة العالم وسير الانبياء واشياء كثيرة اذا سكت عنها المعلمون لا يمكن للاولاد ان يجهلوها . فماذا يقول عن ذلك كلهِ ارباب المدارس العلمانيّة افليس يدرجونها في سلك الخرافات التي لا اصل لها فيحيدون عن الاستقلال الذي زعموه ويعادون الدين ؟

٦ ثم انَّ الولد اذا ترعرع لا يلبث ان يشعر في قلبهِ بتلك الاهواء التي تتنازع نفسهُ فتميلها تارةً الى اليمين وتارةً الى الشمال . يحملهُ صوت الضمير الى عمل الخير لكنْ

الشرّ يقوى عليهِ ويجذبهُ . فيا ترى من يستطيع ان ينصرهُ على ناموس الشرّ الذي في اعضائهِ وينقذهُ كما يقول بولس الرسول (روم ٧ : ٢٤) من جسد الموت وناموس الخطيئة ؟ او كيف يساعدهُ اساتذة المدارس اللادينيَّة في ذلك الجهاد الذي تؤدي فيهِ الكسرةُ الى العطب والدمار . افيقولون لهُ : لازمْ شرفَ نفسك ؟ فما هذا الشرف دون الذي يقضي بهِ عليَّ ؟ فان كان لا الهَ يثيبني على حسن العمل ويعاقبني على سوء الفعل فكل الاعتبارات البشريَّة باطلة لا تمنعني عن شيءٍ من الآثام : الزنى الخلاعة السرقة القتل وبقيَّة المحظورات . اما الشرف فيستطيع الانسان ان يصونهُ بالرياء وكم شريفٍ في اعين البشر هو اثيم شرّير في اعين الله وفي اعين نفسهِ !

٧ وان تورَّط الولد لضعفهِ في الاثم والعادات السيئة واستسلم لاهواء قلبهِ فكيف يقيمهُ اصحاب المدارس العلمانيَّة ويعيدونهُ الى طريق الفضيلة التي جار عنها ويحرّكون في قلبهِ الندامة على فعلهِ . أفلا يعجزون عن ذلك ما لم يلتجئوا الى الدين العامل الوحيد في قلب الانسان للانابة الى الله . كما انهم لا يستطيعون البتَّة ان يلهموهُ الصبر في اوجاعهِ او ينهضوا همَّتهُ في فشلهِ وعدم نجاحهِ او يفتّوا في عضدهِ عند بطرهِ واشرهِ

وخلاصة القول انَّ المدارس اللادينيَّة على رغم من انفها لا تستطيع الحياد عن الدين فاماً تُعاديهِ واماً تغزُ بمحاصرتهِ

٢ لا يجوز للمدارس الدينيَّة الحياد عن الدين وان امكنها الحياد عنهُ بالتمام

ولكن هَبْ انَّ المدارس الدينيَّة تستطيع ان تجهل تماماً واجبات الدين وتضرب صفحاً عن التعليم الديني أيجوز لها ذلك في نظر العقل وفي جانب الادب . كلَّا ثم كلَّا

١ قال الكتاب (١ يوحنا ١ : ٥) : انَّ الله نور ليس فيهِ ظلام البتَّة . وهذا النور الباهر يتجلَّى للانسان في كل حركاتهِ وسكناتهِ يلوح لهُ في باطن نفسهِ كما يظهر لهُ حولهُ في الطبيعة التي تحدق بهِ . فان رفع نظرهُ الى السماء نطقت السماء بمجدهِ تعالى وان شخص الى الشمس ضعف نورُها عن نور وجودهِ تبارك وتعالى . فان كان الامر كذلك فكيف يجهل اصحاب المدارس العلمانيَّة كيان الخالق ؟ او ليس سكرتهم عنهُ اثماً فظيعاً ولو امكنهم الحياد عن الدين ؟ وان تجاهل اصحاب تلك المدارس كأنَّ الله لا يستحق اعتباراً في اعينهم أفلا يأتون عملاً منكراً ؟ وقل مثل ذلك عن تلك القضايا الدينيَّة التي يحتاج اليها كل انسان لتدبير نفسه ولصونها عن الاثم وتزيينها بالفضيلة فان اخفاءها

لو باب المدارس عن طلبتهم عوّضوا بهم الى فساد الاخلاق وتلك الطامّة العظمى

٢ انّ المعارف البشريّة والعلوم الادبية لا يمكن ان يتمكّن فيها الانسان دون ان يجد علاقةً بينها وبين مصدرها الاوّل وركنها الثابت الذي هو الله تبارك اسمهُ لأنّهُ تعالى هو اله العلوم (١ ملوك ٢ : ٣) كما هو خالق الكون فليس علمٌ الّا يصدر عنهُ وينتهي اليهِ. فمن جهل الله او تجاهل ألا يهين عزّتهُ ويقترف جرماً بسكوتهِ عنهُ ؟ بلا مراء. ألا ترى كيف يُطرى البشر فضل عالم كبير اكتشف شيئاً من قوانين الطبيعة واسرارها المجهولة فما قولك باله الطبيعة الذي وضع تلك القوانين العجيبة واودع الكون تلك الاسرار أيجوز ان يُنبَذ نبذ النواة فيُعتبر كلا شيء. فيا لله اي اثم اكبر من هذا ؟

٣ ليس الله فقط مبدع الكون واصل كل المعارف لكنّهُ ايضاً ربّ الارباب وسيّد السادة الذي لمشيئتهِ يخضع كل ما في السماء وعلى الارض لانهُ لم يخلق العالم الّا لمجدهِ كما انهُ لم يبرئ الانسان من العدم الّا ليسبّحهُ ويخدمهُ. فكيف يستطيع ارباب المدارس اللادينيّة ان يذكروا واجبات الولد نحو اهلهِ ومعلّميهِ ورفقتهِ وينسوا حقوق الخالق على عبادهِ ؟ أفلا يستحقّون ان يسمعوا تقريع الله لبني اسرائيل اذ نسوا خدمتهُ (ملاخي ١ : ٦) : « الابن يكرم اباهُ والعبد يكرم سيّدهُ فان كنت انا ابًا فاين كرامتي ؟ وان كنتُ سيّدًا فاين مهابتي ؟ » . وهذا اللوم ينال جميع البشر فكم بالحري اولئك الذين تعهدوا بتربية الصغار ليفقهوهم على واجباتهم فكيف يهملون الواجب الاوّل الذي يلزم المرء نحو ربّهِ والههِ ؟. افيشمل العدل جميع المخلوقات فيُعطى كلٌّ حقّهُ الّا الله كأنّهُ لا حقّ لهُ على مصنوعات يديهِ ؟

فما اصدق ما قالهُ الكردينال لوسون في منشور اذاع قطعاً منهُ البشير في عددهِ الاخير الصادر في ٢٧ آب حيث قال :

« لا يمكننا ان نقبل الحياد الذي يرفض الدين ويحتقرهُ الى حدّ انهُ يعتبرهُ كشيءٍ لا طائل تحتهُ فلا يستحق ان يكون من جملة موادّ التعليم . . . ولهذا نعدّ هذا الحياد شرًّا كبيرًا

« انهُ شرٌّ لانهُ يعاكس حقوق الله الذي ينبغي ان يكون لهُ المقام الاوّل في كل مكان ولا يسعنا ان نلزم الحياد نحوهُ . انهُ شرٌّ لانهُ يعاكس ما للوالدين من الحقوق في

تربية بنيهم تربية توافق معتقدهم الديني . انهُ شرٌّ لانهُ يعاكس ما للولد من الحق في ان يتهذب ويتعلم في مدرسة تكون لهُ بمثابة العائلة يقوم اصحابها مقام الوالدين في علم هو اشرف العلوم واشدها ضرورة . انهُ شرٌّ لانهُ يعزل عن الدين لا يقتنى تربية رجال صالحين فاضلين تحتاج اليهم العائلة والهيئة الاجتماعية والحكومة . انهُ شرٌّ لان الغاية منهُ كما صرَّح ذووه انما هي دكُّ صرح الدين في وطننا »

هذا ما قالهُ نيافة الكردينال لوسون وتعدُّ كلامهُ كمسك ختام هذه النبذة الوجيزة

(6ⁱ) كتاب الهَمْز

عن ابي زيد سعيد بن اوس الأنصاري

رواية الشيخ ابي الفضل عُمَر بن عبيد الله بن البقّال

عن ابي الفتح محمّد بن احمد بن ابي الفوارس الحافظ

توطئة

مرَّ لنا في عامنا الماضي (في المشرق ١٢ : ١٦١) مجموعاً قديماً خُطَّ سنة ٦٤٩ هـ (١٢٥١م) وقف على مضامينهِ الحسن بن محمَّد الشهير بالدمنّاني فاجازهُ . وهـذا المجموع كان يتألف من ستَّة آثار منها لغويَّة ومنها ادبية تبلغ ٣٠٠ صفحة لكن بائعهُ الدمشقي املًا بالربح افرد كل اثر وحدهُ ولحسن الطالع امكن حضرة الاب انستاس الكرملي ان يقتني هذه الاقسام المتفرقة فتلطَّف واوقفنا عليها . فنشرنا منهـا اثرين اعني ديوان السموأل في (المشرق ١٢ : ١٦٤—١٧٨) وكتاب فضائل الكلاب لابن المرزبان (١٢ : ٥١٥—٥٢٢) . وها نحن اليوم ننشر اثراً ثالثاً من هـذا المجموع اعني كتاب الهَمْز لابي زيد سعيد بن اوس الانصاري وتآليف ابي زيد كلّها عزيزة لم يُنشر منها غير النوادر بهمَّة الشيخ اللغوي سعيد الشرتوني . وكتاب المطر واللباء واللبن نشرناهما في المشرق ثم طبعناهما في مجموعنا « البلغة في شذور اللغة » (ص٩٦ و ١٤١) . وكتاب الهمز من الآثار الجليلة التي ذكرها الحاج خليفة في كشف الظنون (٥ : ١٧٢ من طبعة لندن) وكانت يد الضياع اخذتهُ لولا اكتشاف هذه النسخة الفريدة . وقد ذكر الحاج خليفة كتابين آخرين في الهمز للاصمعي ولقطرب وهما مفقودان . امَّا كتاب ابي زيد فيبلغ في الاصل ٤٨ صفحة وفي الصفحة ١٥ سطراً . وكان في مقدَّمة الآثار الستَّة التي ذكرناها يبتدئ بالصحيفة السادسة وكان لهُ في

الاصل مُلحق لابي زيد ايضاً اسمهُ « تحقيق الهمز » لكنَّهُ تضعضع فلم يبقَ منها الَّا اسطر قليلة فضربنا عنهُ صفحاً . ومما ينبغي التنبيه اليهِ انَّ كتابة الهمز في الاصل تخالف نوعاً الاصول الجارية اليوم في كتب اللغويين فتارةً تُكتَب الهمز مع نقطتي الياء نحو « نُسيئَت » وتارةً تكتب بلا كرسي « ذُرءَة » و « أذْرءت » وحيناً يُكتب كرسي الهمزة دونها نحو « تَعْبِيَة » وكثيراً ما كُتِبت الهمزة في غير مكانها مقدَّمة او مؤخَّرة عن حرفها او ترسم الهمزة دون حركتها . وكذلك وقع في الاصل بعض اغلاط اصلحناها في موضعها بوضع خطَّين امقفين [ ] . فوجب التنبيه الى ذلك

ل . ش

(6') بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ انعمتَ فزِدْ

اخبرنا الشيخ ابو الفضل عُمَر بن عبيد الله بن عُمر البقَّال الفقيه بقراءتي عليهِ فأقرَّ بهِ قال : اخبرنا الشيخ ابو الفتح محمَّد بن احمد بن ابي الفوارس فيما قُرِئَ عليهِ وانا اسمع في يوم السبت الخامس والعشرين من رجب سنة ثنتي عشرة واربع مائة . قال : حدَّثنا ابو القسم عُمَر بن محمَّد بن يوسف بن جعفر الكاتب يوم الخميس النصف من رمضان سنة خمس وستين وثلثمائة . قال حدَّثنا ابو عبد الله محمَّد بن العبَّاس بن محمَّد بن ابي محمَّد اليزيدي قراءةً علينا من لفظهِ وانا اسمع في صفر سنة خمس وثلثمائة وسمعنا قبل ذلك مرَّةً اخرى في سنة اربع وثلثمائة قال : اخبرني ابو جعفر احمد بن محمَّد اليزيدي عمّي في سنة خمسين ومائتين قال : قرأتُ على ابي زيد الانصاريّ هذا الكتاب :

قالَ أبو زَيدٍ : يُقال نُؤْتُ بالحِمْلِ أَنُوءُ بهِ نَوْءًا إذا نهضتَ بهِ ونَاءَ بي الحِمْلُ أي نُؤْتُ بهِ ، وتقول : ناءَ النجمُ ينوءُ نَوْءًا إذا سقطَ ، وتقول : نَأَتَ الرَّجُلُ يَنْئِتُ نَئِيتًا ونَهَتَ يَنْهِتُ نَهِيتًا وهما واحد غير انَّ النَّئِيت اجهرُهما [اجهرُهما] (7) صوتًا ، وتقول : أَنَتَ الرجلُ يَأْنِتُ أَنِيتًا وهو مثلُ النَّئِيتِ ، وتقول : نَأَمَ الرجلُ يَنْئِمُ نَئِيمًا وزَأَرَ يَزْئِرُ زَئِيرًا . والنَّئِيمُ أَهْوَنُ الزَّئِيرِ

وتقول: أنْأتُ اللحمَ إناءةً وأنهأتُه إنهاءً فهو مُنهأٌ ومناءٌ (ممدود). ونَاءَ اللحمُ ينيءُ نيئًا ونَهِيَ اللحمُ ينهأُ نهأً ونهاءةً (ممدود) ونُهوءةً، وتقول: أنبأتُه بالأمرِ إنباءً، وتقول: نسأتُ الابلَ في ظِمْئها فانا أنسأها نسْأً اذا زدتَها في ظِمئها يومًا او يومين او اكثر من ذلك. وتقول: نسأتُ اللبنَ أنسأه نسْأً وذلك اذا تأخذ حليبًا فتصبُّ عليه ماءً واسمهُ النَّسِيءُ على فعيل. وتقول: نسأتُ الابلَ عن الحوض فانا أنسأها نسْأً اذا اخرتَها عنهُ. نسأتِ الماشيةُ تنسأُ نسْأً اذا سمنتْ. وكلُّ سمينٍ نامِيْ. وتقول: نُسِئتِ المرأةُ تُنسأُ نسْأً اذا كان عند اول حبلها وهي امرأة نسِءٌ (على زنة فَعِل) ونساءٌ نُسُؤٌ ونُسُوءٌ (على زنة فُعُل وفعول). وتقول: قد انتسأت منك النساء اذا (7") تباعدت عنهُ. وتقول أنسأتُه الدَّين إنساءً اذا اخرتَهُ عنهُ واسم ذلك النَّسيئة. وتقول نَدأتُ اللحم أندأه ندْءًا اذا مَللتَهُ في المَلّة والجمر. والنَّدِيءُ الاسم مثل الطبيخ. ويقال: للحُمْرَة التي تكون في الغيم النُّدأة ثم الى جانب مَغرب الشمس او مَطلعها، وتقول: نبأتُ على القومِ أنبأُ نبْأً اذا طلعتَ عليهم، وطرأتُ على القوم أطرأُ طرْءًا وطُرُوءًا، وصبأتُ عليهم أصبأُ صبْأً وصُبوءًا اذا طلعتَ عليهم. وتقول: نبأتُ من ارضٍ الى اخرى. فأنا أنبأُ نبْأً ونُبوءًا اذا خرجتَ منها الى أُخرى، ونتأتُ فانا أنتأُ نتْأً ونتوءًا اذا ارتفعتَ وكلُّ ما ارتفع فهو ناتِئٌ.

وتقول: نكأتُ الجُرحَ أنكأُه اذا قشرتَهُ، وتقول: نزأتُ بينهم أنزأُ نزْءًا اذا حرشتَ بينهم، وتقول: نصأتُ الناقةَ أنصأُها نصْأً اذا زجرتَها، وتقول: نشأتُ أنشأُ نشْأً اذا شبِبتَ ونشأتِ السحابةُ نشْأً، وتقول: نئفتُ من الطعامِ أنأفُ نأفًا، وتقول: تأتأتُ وانا تأتأةً (8")

اذ خلطتَ فيه تخليطًا فلم تُبرِمهُ، وتقول: ناوأتُ الرجلَ مناوأةً اذا عاديتهُ.

﴿ وتقول في باب آخر من الهمز ﴾ بَسَأْتُ الرَّجُلَ أَبسأُ بهِ بَسْئًا وبُسُوءًا. وبَهَأْتُ بهِ بَهْئًا وبُهُوءًا وهما واحدٌ وهو استئناسُكَ بهِ، وتقول: بَرَأْتُ من المرضِ فانا أَبْرُؤُ وأَبرأُ بُرْءًا وبُرُوءًا (فُعولًا) هذا من لغة اهل الحجاز. وسائر العرب يقولون: بَرِئْتُ من المرضِ أَبرأُ بُرْءًا وبَرِئْتُ من الدَّيْنِ أَبرأُ بَراءةً، وتقول: أَبدأْتُ من ارضٍ الى اخرى اذا خرجتَ منها الى غيرها إبداءً، وتقول: بُدِئَ بهِ فهو مَبْدُوءٌ اذا اخذهُ الجُدَرِيّ والحصبة وتقول: بدأْتُ بالأمرِ بَدْءًا، وتقول: بَكَأَتِ الشاةُ تَبْكأُ بَكْئًا وبَكُؤَتْ تَبْكُؤُ بَكاءةً وبَكْئًا اذا قلَّ لبنُها وهي شاةٌ بَكيئةٌ، وتقول: بَذَأْتُهُ أَبذأُهُ بَذْءًا اذا ذممتَهُ، وتقول: وَبِئَتِ الارضُ فهي تَوْبأُ وَبأً ووَباءةً وهي مَوْبُوءَةٌ وارضٌ وَبِئةٌ (على وزن فَعِلَة). وقال القُشَيْرِيُّون: وَبِئَتِ الارضُ
(٨٣) تِيبأُ وأَوْبَأَتِ الارضُ إيباءً وهي ارضٌ مُوبِئةٌ ووَبِئةٌ اذا كثُر مرضُها، وتقول: أَبَأْتُ عليهِ مالَهُ أُبِيئُهُ إباءةً اذا أَرَحتَ عليهِ إبلَهُ او غنمَهُ، وتقول: بَأَرْتُ بُؤْرَةً فانا أَبأَرُها بَأْرًا اذا حفرتَ بُؤْرةً تطبخُ فيها وهي الإرةُ، وتقول: وَأَرْتُ إرَةً فانا أَئِرُها وَأْرًا، وتقول: بَؤُلَ الرجلُ يَبْؤُلُ بَآلَةً اذا صغُر، وتقول: بُؤْتُ بالذنبِ أَبوءُ بهِ بَوْءًا اذا اعترفتَ بهِ. وبَاءَ الرجلُ بصاحبِهِ بَوْءًا اذا قُتِلَ بهِ وبَأَوْتُ على القومِ أَبأَى بَأْوًا اذا فخرتَ عليهم، وتقول: أَبأْتُ القومَ منزلًا إباءةً وبَوَّأْتُهم تَبوِئةً وذلك اذا نزلتَ بهم الى سَنَدِ جبلٍ او قُبُلِ نهرٍ. والاسم المَباءةُ والبِيئةُ وهي المنزل، وتقول: أَبَسْتُ الرجلَ آبِسُهُ أَبْسًا اذا قهرتَهُ. قال العجّاج:

لُيوثُ هَيْجًا لَمْ تُوَمْ بأُبْسِ

(يقول : بَقْهر) ، وتقول: أَبَنْتُ الرجلَ تَأْبِينًا اذا بكيتَه بعد الموت . قال رُؤْبَةُ :

فَامْدَحْ بِلالًا غَيْرَ ما مُؤَبَّنِ

(يقول: غير هالك) ، وتقول: بَؤُسَ الرجلُ يَبْؤُسُ بَأْسًا اذا كان شديد البأس ، وفي (٩٣) البُؤْس: قد بَئِسَ يَبْأَسُ بُؤْسًا وبَئِيسًا

﴿ وتقول في باب آخر من الهمز ﴾ قد رَزَأْتُ الرَّجُلَ أَرْزَأُهُ رُزْءًا ومَرْزِئَةً اذا اصبتَ منهُ خيرًا ما كان ، وتقول : رَبَأْتُ القومَ أَرْبَأُهُمْ اذا كنتَ لهم طليعةً فوق شرَفٍ فاسْمُ الرَّجُلِ الرَّبِيئَةُ ، وتقول : أَرْجَأْتُ الامرَ إرْجاءً اذا أَخَّرْتَه ، وتقول: أَرْفَأْتُ السَّفِينَةَ إرْفاءً اذا قرَّبتَها من الأرض . وتقول: رَفَأْتُ الثَّوبَ أَرْفَأُهُ رَفْئًا . ورَفَّأْتُ المَلِكَ تَرْفِئَةً اذا دَعَوْتَ له . وتقول: رافَأَنِي الرجلُ في البيع مُرافَأَةً اذا حاباكَ فيه ، وتقول: رَمَأَتِ الإبِلُ في المكانِ تَرْمَأُ رَمْئًا ورُمُوءًا اذا أقامت بهِ ، وتقول: رَثَأْتُ اللَّبَنَ أَرْثَأُهُ رَثْئًا اذا حلبتَ على حامضٍ . والاسم الرَّثِيئَةُ ، وتقول: رَقَأَتْ عَيْني تَرْقَأُ رَقْئًا اذا جفَّ دَمْعُها ، وتقول: رَدُؤَ الرجلُ يَرْدُؤُ رَداءَةً اذا كانَ فاسدًا ، وتقول: رَوَّأْتُ في الأمرِ تَرْوِئَةً وتَرْوِيئًا اذا نظرتَ فيه ولم تَعْجَلْ بجواب ، وتقول: رَأَبْتُ القَدَحَ رَأْبًا اذا شَعَبْتُهُ (٩٣) ، والرُّؤْبَةُ ما أَدْخَلْتَ فيه من غيرهِ . ورَئِمَتِ النَّاقَةُ وَلَدَها تَرْأَمُهُ رِئْمانًا اذا أَحَبَّتْهُ . وتقول: أَرْأَمْتُ الجُرْحَ إرْءامًا اذا داوَيْتَهُ حتى يَبْرَأَ فَيَلْتَئِمَ . وقد رَئِمَ الجُرْحُ رِئْمانًا حَسَنًا اذا الْتَأَمَ ، وتقول: رَؤُفْتُ بالرَّجُلِ أَرْؤُفُ رَأْفَةً ورَآفَةً . ورَأَفْتُ بهِ أَرْأَفُ كلٌّ من كلامِ العَرَبِ ، وتقول: رَهْيَأْتُ رَأْيِي رَهْيَأَةً اذا لم

تُحَكِّمُهُ، وتقول: رَابَأْتُ الشَّيْءَ مُرَابَأَةً اذا اتَّقيتَهُ فكُنْتَ له مُتَّقِيًا، وتقول: رَاءَيْتُ الرَّجُلَ مُرَاءَاةً وَالاسمُ الرِّئَاءُ، وقد رَأَيْتُ الرجلَ تَرْئِيَةً اذا أمسَكْتَ له المِرْآةَ لِيَنْظُرَ فيها، وتقول: رَأْرَأَتْ عَيْنَا الرَّجُلِ رَأْرَأَةً اذا كانَ يُدِيرُهُمَا وهو رَجُلٌ رَأْرَاءُ العَيْنَيْنِ، وتقول: أَرْدَأْتُ الرَّجُلَ بِنَفْسِي إِرْدَاءً اذا كُنْتَ له رِدْءًا وهو العَوْنُ، وتقول: أَرِنَ البَعِيرُ أَرَنًا اذا مَرِحَ مَرَحًا، وتقول: قد رَأَسَ زَيْدٌ القَوْمَ يَرْأَسُهُم رِئَاسَةً وهو رَئِيسُ القَوْمِ، وتقول: أَرَرْتُ المَرْأَةَ أَؤُرُّهَا أَرًّا ورَطَأْتُهَا أَرْطَأُهَا (10°) رَطْئًا وهُمَا واحدٌ وهو مُجَامَعَتُكَ اياها، وتقول: أَرِبَ الرَّجُلُ أَرَبًا في الحاجةِ وأَرُبَ يَأْرُبُ إِرْبًا وإِرْبَةً في العَقْلِ. ويُقالُ في الحاجةِ: لي قِبَلَكُمْ إِرْبَةٌ

﴿ ويُقال في باب آخر ﴾ زَنَأْتُ في الجَبَلِ أَزْنَأُ زُنُوءًا وَزَنْئًا [وزَنْئًا] اذا صَعِدْتَهُ. قال الرَّاجِز:

وَارْقَ إلى الخَيْرَاتِ زَنْأً [زَنْأً] في الجَبَلْ

وتقول: تَزَأْزَأْتُ من الرَّجُلِ تَزَأْزُءًا شديدًا اذا تَصَاغَرْتَ له وفَرِقْتَ منه، وتقول: زَكَأَتِ النَّاقَةُ بِوَلَدِهَا تَزْكَأُ زَكْئًا اذا رَمَتْ به عِنْدَ رِجْلِهَا، وتقول: إنَّ فُلانًا لَزُكَأُ النَّقْدِ إذا كان حاضِرَ النَّقْدِ، وتقول: زَأَدْتُ الرَّجُلَ أَزْءَدُهُ [أَزْأَدُهُ] زَأْدًا إذا رَعَبْتَهُ، وتقول: قد إِزْدَأَمَ الرَّجُلُ فهو مُزْدَئِمٌ اذا غَضِبَ، وتقول: قد زَأْبَرَ الثَّوْبُ يُزَأْبِرُ فهو مُزَأْبِرٌ اذا خَرَجَ زِئْبِرُهُ، وتقول: أَزَمَتْ يَدُ الرَّجُلِ آزِمُهَا [آزِمُهَا] أَزْمًا وهو أَشَدُّ العَضِّ. وأَزَمَ علينا الدَّهْرُ يَأْزِمُ أَزْمًا اذا اشْتَدَّ وقَلَّ خيرُهُ. وأَزَمْتُ (45°) الخَيْطَ آزِمُهُ أَزْمًا إذا فَتَلْتَهُ. والأَزْمُ ضَرْبٌ من الفَتْلِ، وتقول: أَزِلْتُهُ [أَزَلْتُهُ] آزِلُهُ أَزْلًا إذا حَبَسْتَهُ، وتقول: زَأَبْتُ القِرْبَةَ أَزْأَبُهَا اذا حَمَلْتَهَا ثُمَّ أَقْبَلْتَ

بها مسرعًا والحملَ وما حَمَلتَ مِن ثِقلٍ ، وتقول: وزَأتُ الوِعاءَ توزيئًا إذا شدَدتَ كَنزَه ، وتقول: إزبأرَّ النَّبتُ والوبَرُ ازبئرارًا إذا نبتَ ، وتقول: هَزِئتُ بالرَّجلِ أهزَأ بهِ هُزْءًا ومَهزَأةً ، وتقول: قد ازلأمَّ القومُ ازلئمامًا اذا ارتحلوا ، وتقول: أزَيتُ الحَوضَ تأزيةً وآزيتُه [وأزَّيتُه] إيزاءً إذا جعلتَ لهُ إزاءً وهي صخرةٌ او ما جعلتَهُ وِقايةً لِمصبِّ الماءِ حينَ يُفرغُ الدلوُ

﴿ وتقول في بابٍ من الهمز آخر ﴾ قد ذَرِئتُ أذرأُ إذا شِبتَ والإسمُ الذُّرأةُ ، وتقول: قد ذؤبَ الرجلُ فهو يَذؤبُ [يذؤبُ] ذآبةً [ذَأبةً] اذا كانَ ذِئبًا خبيثًا وَدَهاءً ، وتقول: أذأرتُ [أذأرتُ] بصاحبه إذآرًا [إذْآرًا] إذا حَرشتَهُ عليهِ وأولعتَهُ بهِ . وقد ذَئِرَ الرَّجلُ حينَ أذأرتَه (٤٤) ، [أشِرَ] الرَّجلُ أشرًا وأرِنَ أرنًا وهُما واحدٌ وهوَ النَّشاطُ ، وتقول: أدِرَ الرَّجلُ يأدَرُ أدَرًا اذا امتلأ صَفنُ خُصيَيهِ وهوَ جِلدتُهما ، وتقول: أفِرَ الرَّجلُ يأفِرُ أفرًا اذا وثَبَ وعدا ، وتقول: قد أكَرَ الرَّجلُ يأكُرُ أكرًا اذا احتفرَ أكرةً في الغديرِ فيجتمع الماءُ لهُ فيها فيَغترفُهُ صافيًا

﴿ وتقول في باب من الهمز ﴾ أشطأتِ الشَّجرةُ بغُصونها اذا أخرجت غُصونَها ، وأجفأتِ القِدرُ بزَبدِها إذا ألقتهُ ، وتقول: ألَبَ الرَّجلُ يألِبُ ألبًا إذا جمع عليك القومَ وحرَّشهم . وألَّبَ تأليبًا مثلها . وتقول: ألبُهُ معي اي هَواهُ وضَلعُهُ . وهو ألبٌ علينا اي ضَلعٌ علينا ، وتقول: تأوَّهتُ تأوُّهًا وهو من قول الرَّجل: اوّه ، وتقول: تألَّهَ الرَّجلُ تألُّهًا إذا نَسَكَ . قال رؤبة :

سَبْحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلِّيِي

وتقول: تَأْتَأْتُ بالتَّيس تَأْتَأَةً اذا دَعَوْتَهُ لِيَنْزُوَ فقلتَ لهُ: تَأْتَأْ، ويقال: حَأْحَأْتُ بالكَبْش اذا أَشْلَيْتَهُ اليك (١١٢). فقلتَ لهُ: حُؤْحُؤْ، وتقول: أَتَبْتُ المَرْأَةَ تَأْتِيبًا وهي مُؤَتَّبَةٌ وذلك إِذَا دَرَّعْتَهَا دِرْعًا والاسم الإِتْبُ وهي الآتابُ للدُّرُوعِ، وتقول: قد أَزَّ الشَّيْطَانُ الرَّجُلَ فهو مَأْزُوزٌ اذا أَغْوَلَهُ. وتقول: أَزَزْتُ الرَّجُلَ على صاحبِهِ اذا حَرَشْتَهُ عليهِ، وتقول: أَتْأَرْتُ القَوْمَ بَصَرِي إِتْآرًا اذا أَتْبَعْتَهُم بَصَرَكَ. قال الشاعر

أَتْأَرْتُهُم بَصَرِي وَالآلُ يَرْفَعُهُمْ حَتَّى اسْتَدَرَّ بِطَرْفِ العَيْنِ إِتْآرِي

وتقول: تَثَاءَبْتُ تَثَاؤُبًا والاسم الثُّؤَبَاءُ، وتقول: مَئِقَ الرَّجُل يَمْأَقُ مَأْقًا ومَأْقَةً وهو شِدَّةُ البُكاء. وقال رُؤْبَةُ:

عَوْلَةَ ثَكْلَى وَلْوَلَتْ بَعْدَ المَأَقْ

والمَأَقُ اذا بَكَى وفَزِعَ سَمِعْتَ شَيْئًا يَخْرُجُ مِنْ صَدْرِهِ شبيهًا بالحَشْرَجَةِ، وتقول: أَفِقَ الرَّجُلُ على الأَمْرِ يَأْفَقُ أَفَقًا والأَفَقُ الغَلَبَةُ، وتقول: أُلِقَ الرَّجُلُ أَلْقًا فهو مَأْلُوقٌ اذا أَخَذَهُ الأَوْلَقُ وهو شبه الجُنُون. قال الشاعر:

تُرَاقِبُ عَيْنَاهَا القَطِيعَ كَأَنَّمَا يُخَالِطُهَا مِنْ مَسِّهِ مَسُّ أَوْلَقِ

(١٢ ب) وتقول: أَسْأَدْتُ السَّيْرَ إِسْآدًا إِذَا دَأَبْتَهُ، وتقول: ائْتَنَفْتُ ائْتِنَافًا. وَابْتَدَأْتُ ابتدءًا [ابْتِدَاءً] وهما واحدٌ، وتقول: مَلِئَ الرَّجُلُ مَلَاءَةً فهو مَمْلُوءٌ وهو المَزْكُومُ، وتقول: تَدَأَّمَتُ الرَّجُلَ تَدَأُّمًا اذا وَثَبْتَ عليه ورَكِبْتَهُ. وتقول: قد تَدَأَّمَنَا المَاءُ اذا غَمَرَكُم تَدَأُّمًا. قال رُؤْبَةُ:

تَحْتَ ظِلَالِ المَوْتِ إِذْ تَدَأَّمَا

(يقول: اذ غَمَرَكُم)، وتقول: أَكَّدَ عليهِ العُقْدَةَ تَأْكِيدًا وَوَكَّدَهَا

تَوْكِيدًا إذا أحكمَ عَقْدَها ، وتقول : أَبَنْتُ الرَّجُلَ تَأْبِينًا اذا عَيَّرْتَهُ في وَجْهِهِ ، وتقول : بَدَأَ اللهُ الخَلْقَ وأبدأهم سَوَاءٌ . قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ . وقال : قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كيف بَدَأَ الخَلْقَ ، وتقول : جاءني أَمْرٌ ما مَأَنْتُ لَهُ مَأْنًا ولا مَأَلْتُ لَهُ مَأْلًا اذا لم تَسْتَعِدْ له ولم تَشْعُرْ بِهِ ، وتقول : قد تَأَثَّلَ الرَّجُلُ مَالًا تَأَثُّلًا اذا اتَّخَذَهُ . وقد أَثَّلَ اللهُ مالَ فُلانٍ اذا أَزْكَاهُ . قال رُؤْبَةُ (12°) :

أَثَّلَ مُلْكًا خِنْدِفِيًّا فَدْعَمَا

وتقول : قَدِ ائْتَلَقَ البَرْقُ والسَّيْفُ وغيرُهُ ائْتِلاقًا اذا بَرَقَ فترى لَهُ ائْتِلاقًا (له بقيَّة)

نقد الريحانيّات

الاب لويس شيخو اليسوعي

بشرتنا الجرائد المحليّة بصدور القسم الثاني من الريحانيّات وزعم الزاعم انَّ هذا الجزء لا يحتوي شيئًا يمسُّ كرامة الدين والآداب . فسررنا لهذا الخبر واستجلبنا الكتاب لعلنا نستنشق هذه المرَّة من الريحانيات عبيرًا طيبًا ليس فيه شيءٌ من وخامة القسم السابق (اطلب المشرق ص٣٨٩)

ولكن ما كدنا نقلّب الصفحات الاولى من الكتاب حتى تحقّقنا انَّ هذا الغصن من تلك الدوحة وانَّ العوسج لم ينبت تينًا وانما ازدانت فقط فروعهُ ببعض الازهار *فظنَّ الناظر ان الشجرة تغيّرت جوهرها او انها صارت طيبة الثمار بالتطعيم* . ونحن لا ننكر انَّ لهذه العوسجة زهرًا بل ثمرًا ولكن هيهات ان يستطعم صاحب ذوق مثل هذه الازهار والاثمار البريَّة التي لا يمكن جناها الَّا بتخديش ايدي قاطفها من بين الاشواك الدغلة

نظر عامّ

يشتمل هذا القسم من الريحانيات على نحو ثلاثين قطعة قسمها صاحبها الى ثلاثة اقسام: خطب ومقالات وشعر منثور تختلف صورة وتتشابه طريقة ومعنى

من سرّح النظر في الريحانيّات فقرأ منها فصلاً سواء دُعي خطبةً او مقالةً او شعراً منثوراً ثمّ أطبق الكتاب واراد اجتناء ثمرة قراءته بقي مرتاباً قلقاً لا يعلم ماذا اراد الكاتب ان يلقّنهُ وماذا استفاد هو من مطالعته. سمع الفاظاً طنّانة وعبارات رنّانة واقوالاً مبهرجة وانتقادات في كل طبقات الكون وتنديداً بالهيئة الاجتماعيّة والحكومات والحكّام وغير ذلك ممّا لا يُحصى عدُّهُ امّا المقصود من كل تلك الحركة فيبقى مبهماً مستغلقاً فيعود القارئ صفر اليدين لم يعِ شيئاً ممّا قرأ او سمع كأنّهُ دخل الى دكّان بائع « خرده » يجد في حانوته خليطاً من كل الادوات ونفاية من كل البيعات لا يستوقف نظرهُ منها الّا الشيء القليل وربّما خرج فارغاً كما دخل

فقس عليه بضاعة الريحاني اذا استعرضها احد لا يدري ما يحكم في صاحبها أهو فيلسوف؟ كما دعاهُ البعض الّا انّ الفيلسوف اذا تكلّم بنى كلامهُ على موضوع معلوم بيّن اصوله وفروعه وعلله ومعلولاته ومقدّماته وملحقاته فجاء كلامهُ كالبناء المرصوص يقوم كلّهُ على اساس واحد ويرتفع في الجوّ شامخاً متيناً مهيباً لا يراهُ الرائي الّا أفاض في سموّ عقل مهندسه. وترى الريحانيّات على خلاف ذلك اشبه بموادّ معدّة للبناء مكوّمة على بعضها بلا نظام ولا رابطة. فهيهات ان يدعى صاحبها فيلسوفاً. وغاية ما يمكن التسليم به انهُ متفلسف يرى ذاتهُ من طينة مخالفة لاهل جنسه مباينة لابناء زمانه فيحكم كالفريسي بازاء العشّار انّهُ ليس كبقيّة البشر بل هو « كابراهيم الخليل » دعاهُ الله من « بين الوثنيين » ليعيش معتزلاً عن الاشرار في « وادي الفريكة » قال (ص ٨):

« وجدتُ نفسي بين قوم يأكلون ماشين. ويقرأون آكلين. ويعدُّون النقود راكضين. ويعبدون الاوثان قائمين قاعدين. بل يقدّمون ارواحهم واجسادهم ضحيّة لآلهة ما سمعت باسمائها المصور الغابرة. عشتُ زمناً بين قوم يقال انهم مسيحيون ولكنّهم في الحقيقة وثنيّون. وثنيّون بحركاتهم وبطرهم. وثنيّون بأخلاقهم وشعورهم. وثنيّون بطمعهم واستئثارهم وثنيّون بتعدُّد آلهتهم (الخلاصة ليس مسيحي غير الريحاني ناكر اسرار الديانة المسيحية والشاتم لبتولية العذراء راجع المشرق ص ٥٤٢)... فخرجت من بين هؤلاء المشركين طالباً في البريّة رأي مثل

ابراهيم . . . وفررتُ هارباً الى القريكة » (ألا ان هذا ابراهيم الجديد لم يتو باعتزاله عبادة ربّهِ حقيقةً بل عبادة الطبيعة كما صرَّح (ص ١٠) بقوله: « انّا للطبيعة وانّا اليها راجعون » !!

فهذه كل فلسفة الريحاني اي « قَلٌّ وسَفَه » كما قال البستي . ولكن ان كان حظُّهُ من الفلسفة قليلًا أليس هو خطيباً مصقعاً كما يزعمون؟ فكم رأيناهُ قام في الجمعيات ينثر درر اقوالهِ فيشنّف بها مسامع الحضور فصفّقت له الايدي وحيّتهُ الاصوات و بيّنهُ؟

نقول انّا لم نسمع خطبة لامين افندي الريحاني فلعلهُ كان سحرهُ بركّات صوتهِ وبحسن القائهِ وايمائهِ . فقضي علينا بان نقصر حكمنا على خطبهِ المطبوعة فنقول: ان الغاية التي يرمي اليها الخطيب انما هي الاقناع يأخذ له المتكلم موضوعاً ما امّا دينياً واما ادبياً واما سياسياً واما صناعياً فيحدّده ويقسّمهُ ويربط اقسامهُ بعضاً ببعض ويؤيدها بالادلة العقلية والنقلية والامثال والتشابيه ثمّ يحضّ السامعين على العمل بقولهِ ولا يخرج من موضوعهِ حتى يكون السامع ارتوى منهُ وشبع فيعود راضياً بقول الخطيب مقتنعاً ببراهينهِ مستعداً للعمل بتعليمهِ . ولا نرى من كل ذلك في خطب الريحاني ألّا الزهيد القليل . فانظر ايّ خطبة شئتَ من خطبهِ ترَها مثل كشكول المكدّين او كسفينة نوح فيها من كلّ ضروب الحيوانات الطاهرة والنجسة . خذ مثلًا اجودها واحدثها « قيمة الحياة » التي ألقاها في صيداء في منتصف آذار المنصرم (ص ٦٦ — ٨٢) فان الموضوع جميلٌ من شأنهِ ان يشحذ قريحة خطيب مقتدر ومقوال بليغ . فافتتح الريحانيّ خطبتهُ بما يناسب المقام من مدح الصيدوين بنكتةٍ جنح الى الغزل فأفسد هذه المقدمة بما ذكره من الالفاظ الغريبة بقولهِ (٦٧ — ٦٨):

« يكفيني ان احدّثكم في مضاربة الساسة ودهاقينها الذين يأوجون اعمالنا و يأبوقونها او في زرازرة يمشون في الارض سيالًا . . . او في غطريف كبير ترقّتهُ الدنانير وحددتهُ على اذنيه الحمير . . . . »

وقد سوّد صفحة تامّة من « هذا الفلك » الى ان صرّح بموضوعهِ « قيمة الحياة » فباشر بسؤال ملتبس ألحقهُ بجواب اكثر التباساً وذلك في اول خطبتهُ حيث يحتاج السامع الى الوضوح وتحديد الموضوع ليعرف ماذا يريد الخطيب ان يعرضهُ عليهِ قال:

« اسألكم سؤالًا : لو علمتم حق العلم انّ الحياة صدفة من صدف الطبيعة وان لا سابق قصد لها ولا لاحق لا قوّة مدركة وراء المهد ولا وراء اللحد فترسلها وتبثها عقلًا وروحاً (ينال الي

فهموا !) – وبكلمة اخرى لو تأكَّدتم انَّ الحياة ماديَّة محض والموت ضجعة ابديَّة كيف تعيشون يا ترى وكيف تسلون لتعرفوا من قيمتها وتجنوا اللذيذ من ثمارها. . . »

ويردف كلامهُ بكلامهِ على صورة مبهمة فلا نعلم أيريد ان يثبت لنا وجود عالم آخر نسند اليهِ آمالنا ام ينتهي كل شيءٍ معنا في القبر . ولعلَّهُ يقصد انَّ حياة الانسان تترقَّى من بعده بالنشوء حتى تستحيل الى جوهر اللاهوت كما يزعم الهنود والقائلين بمذهب الحلول. قال (ص ٧١):

« اني ممَّن يعتقدون بالنشوء والارتقاء ولا حاجة الى ان يؤيد العلماء اعتقادي فاني لمؤيدهُ بما اعرفهُ و بما اجهلهُ من لوح هذا الوجود من الحياة ومن الاكوان . . . . . اؤمّل ان ارى ولو بعد موتي بليون من السنين روح الانسان متجلّية في كل مظهر من مظاهر الله ! »

ولعلَّك أيها القارئ لم تدرك بعد « قيمة الحياة » فتنتظر من الخطيب تعريفها الّا انَّ جنابهُ رأى الأوفق ان يحيد عن هذا المقام الحرج ليقرّع اهل عصرهِ الذين ينهمكون في الاشغال ولا يطلبون غير حطام الدنيا فيلوم كل الناس العلماء والسياسيين والتجار والاغنياء والكتبة وارباب الدين كانهُ هو قاضي ربّ العالمين وقدوة الجميع ومثالهم ولا يخشى غير عيوب نفسهِ (٧٢–٧٣):

« نعيش اليوم كما لو كانت الحياة منحصرة في البورص والمخزن ومرقي الطعام والنوم . . . نعيش كما لو كنّا آلات هضم . . . فالسياسي لا يرى في الحق قوّة تستحق الاعتبار ان كان الحق يؤيدهُ في ضلالهِ وفسادهِ . ورجال الدين يصمّون آذانهم عمّا جاء في كتب الدين من سديد التعاليم و يستخرجون من بعض الايات والعقائد قواعد تمكّنهم من الضغط على الانفس والعقول لتكون لهم في ذلك سلطة ما انزلها الله على احد من الناس (ألا على الريحاني ليسبّ الناس) . . . والغني فبما يعيش كما لو كانت الاموال تقيهِ الموت وتكسبهُ الخلود . . . »

وقس على هذا صفحتين قام فيها الريحاني كابي زيد السّروجي في مقامات الحريري خطيباً زاهداً في الظاهر ماكراً في الباطن . وبدلاً من ان يفيدنا شيئاً عن قيمة الحياة بأن يعلّمنا كيف نصرفها في عمل الخير او مساعدة البائسين او خدمة الوطن والانسانيّة اخذ يخبط خبط عشواء فجعل تارةً يعرّض برؤساء الدين او باهل الدولة وحيناً يهذي بذكر شروط نهضة الشرق وتارة يفتي من علوّ مقامهِ بان الحياة كلها فاسدة لم يدرك اسرارها غير « فيلسوف الفريكة » قال (٧٤):

أجَلْ انَّ الحياة اليوم سواء كانت في ارق مظاهرها الاوربيَّة او في افخم مظاهرها الشرقيَّة

انّما هي حياة خاشنة فاسدة ناقصة هي عند الاوربيين محض مادّية تجارية واست عندنا لا مادّية تُعرَف ولا روحيّة. . حياتنا. . . إنْ هي الّا ألعوبة في روحيّاتها واضحوكة في مادّياتها. . . »

وعندي انّ اعظم اضحوكة ان يسمع الحضور لهذا الهَلس وهم لا يضحكون. ولمّا كاد الخطيب ان ينهي خطبتهُ تذكّر انّهُ لم يَخُض بعدُ في الموضوع فاراد استدراك الخلل فقال (ص ٧٦):

« وما اني وصلت الى الحدّ الذي ينبغي ان تعرّف عنده الحياة نعرف كيف نتبين قيمتها »

لله درّك يا خطيب قد جعلت الذنب في الرأس والرأس في الذنب. ولكن لا بأس. دعنا نسمع تحديد الحياة فنقرّ بعرفة الخطيب وحسن تعبيره عن فكره قال (٧٦):

« سأتقدّم بشرح لكم (لم يشرح لنا شيء!) انّ الحياة اصلاً انّما هي قوّات عقلية روحية مادّية تظهر في الناس بمقادير متباينة ناقصة ولكنّها كامنة بالقوّة وغير محدودة في كل نفس بشريّة. . . انّ في كل منّا قوى غير محدودة من هذه الينابيع الثلاثة تظهر فينا او في نسلنا بمظاهر شتى طوعاً لاحوال نمثلها اذا اختبرنا ولاسرار لا نستطيع اليوم ادراكها. هذه هي الحياة نظريّاً »

لم تُصب بتحديدك يا جناب الفيلسوف فانّك ذكرت بعض مظاهر الحياة في النبات والحيوان والانسان لكنّك لم تعرّف الحياة ثم انّك جمعت بين قوات متنافية كالروحيّة والمادّية ولم تبيّن كيف الروح والمادّة يقومان معاً كما انّك لم تُفدنا عن الفرق الموجود بين القوات العقليّة والقوات الروحيّة ولم تعلمنا ما هو الرابط بين الينابيع الثلثة. والألغاز اخرى كان الاولى بك ان تسكت عنها من ان تُشير اليها وتتركها دون حلّ

وليس لفظ « خطيبنا » دون ذلك في تحديده للحياة « عملاً » فانّهُ يسرد العبارات دون علاقة ويكثر من التشابيه المبهمة شأن المبهرج الذي لا يعلم ما يقول. اسمعْ وافهم (ص ٧٦):

« وامّا عملاً – آه لو كانت حياتنا الدنيا ابتسامة دائمة. . آه لو كانت حلماً من احلام الشعراء او لحناً مطرباً مفرحاً من الحان الموسيقيين. الحياة في نظر احد القديسين انّما هي عقاب الانسان في هذا العالم. وفي نظر الفيلسوف هي سلسلة من حديد المصائب فيها حلقات قليلة من ذهب العزاء والهناء. وفي نظر الشاعر هي هيئات هيوليّة عزيزة لاسرار سامية غامضة. . . وفي رأي سيّدنا سليمان كل شيء باطل وقبض ريح. وفي رأي جمهور الناس انّها الارض وادي الدموع ». (ونتعجّب كيف نسي الريحانيّ تحديد الحياة لبعض المزعجين « الحياة بصلة يقشّرها الانسان بعين دامعة! »)

وان كنت أيها القارئ لا تفهم بعد ذلك ما هي الحياة عملاً فلومنّ نفسك او اسأل الريحاني لعلّ الله يفتح عليه بشيءٍ اوضح. وكأنّ خطيبنا بعد الكلام الفارغ الذي ملأ به ١٤ صفحة عاد اخيراً الى رشده فأتى بامر معقول في ختام خطبته فقال (ص ٨١):

«انّ قيمة حياتنا اليوم ما تزرعهُ في القلوب من البرّ والصلاح وفي العقول من العلم والحكمة. قيمة الحياة ما يعود الينا من ثمار الحبّ الذي تزرعهُ في صدور الناس. قيمة الحياة ما يأتي به كل منّا من الصالحات الباقيات مادّيّة كانت او مَدَنيّة او روحيّة.... رجل المستقبل الذي يعيش لنفسهِ ولربّهِ وللانسانية في وقت واحد. انّ حياة مثل هذا الرجل لكنز من كنوز الدنيا وقيمتها لا تُقدَّر ولا تُحدّ»

هذا ولو اردنا انتقاد كل فصل من فصول الريحانيّات بإنصاف وحاولنا افراز غثّها من سمينها لما كفت المجلّدات. ولكن لا بدّ ان ننظر في شعره.

قصد الريحاني نَهج مسلك جديد في الكتابة العربيّة اعني ما دعاهُ الشعر المنثور على مثال ما عرفهُ الانكليز بالشعر الحرّ غير المقيّد بالوزن والقافية الّا ما يصطلح عليه كلّ كاتب من الادوار والسّجعات على طريقة السُّوَر العربيّة. وللريحاني عدّة فصول على هذا النمط نرى فيها تعسّفاً كثيراً وتصنّعاً. كقوله في فاتحة الفصل المدعوّ «ريح سموم» (ص ١٨٦):

وبربّك القيومْ. ما الذي تظنّهُ يدومْ

صوت سمعتهُ في الكروم. وقد مرّت عليها ريح سموم. فجفّت الارض وعادت جزرة كثيرة الكلوم

سقطت الجنان عن قنانها. وفزعت اوراقها الى النيومْ

صوت صارخ من وراء النجومْ. (ولا غرو انهُ صوت البومْ). ما الذي تظنّهُ يدومْ

وختمها بقوله (١٩٠):

بلى وربّ السماء والنجومْ. لا يُفلح المستكبر الظلومْ. ولن تدوم الّا آثار النفوس الذكيّة السامية ووجه ربك الحي القيّومْ

وافضل ما نظمهُ الريحاني في هذا قسم الشعر النثري قصلهُ المعنون «فؤاد» (١٩٧–٢١٤) قالهُ عند مهد ابن اخته فؤاد يوسف صادر ثم في جانب لحدهِ. وفي هذا الفصل عدّة معانٍ لطيفة وعواطف رقيقة مع ما فيهِ من الطول المفرط وبعض التخيّلات البعيدة والاستنباطات الباردة التفهة كقوله (٢٠٨):

وأقبل سرتك لرتو فيها بلغ جميل
ففي السرة سلسلة الحياة التي لا تتمّ حلقاتها ان لم تُقطَعْ
يقطعها الانسان فيعيد وَصْلَها الله (انّى ما اقبح ذوقك !)

نظر عامّ

هذا نظر عموميّ في اقسام الريحانيات الثلاثة لاح لنا منها انّ صاحبها ليس بفيلسوف ولا خطيب ولا شاعرٍ بحصر الكلمة . فما هو اذن ؟ هو كاتب ذلق اللسان كثير الشقشقة لا يرى حوله في الهيئة الاجتماعية ولاسيما في وطنهِ غير الفساد والتهوّر فوقف نفسهُ لاصلاح الخلل وفيهِ يصح قول المثل : « ايها الطبيب اشفِ نفسك »

وان شئت ان تعرف ادوية طبيبنا النطاسيّ فيمكن اختصارها بالابواب الآتية :

١ ﴿ القاء الاكليروس ﴾ انّ الريحاني في كلّ فصل من فصولهِ يسلق ارباب الكهنوت بلسانهِ الحادّ فتارةً يحمل الكاهن (ص ١٣) رجلًا « متعاطيًا للجريمة متاجرًا بالحقيقة مكثرًا من الخزعبلات . . شرًّا لازمًا للبشر » . وتارةً (ص ٥١) يدعوهُ « عدوّ الآداب » وحينًا يسمي تعليمهُ (ص ٣٧) « الخرافة السوداء » او ينسب اليهِ انحطاط لبنان واهلهِ (ص ٢٧) واختراعات كلّ العبادات الباطلة (ص ٥١) فيهيج الخواطر على الكهنة ليمحي أثرهم (٥٢ — ٥٣) . وكأنّ الريحاني نفسهُ ادرك ما في كلامهِ من التحامل الباطل فاقرّ بهِ اخيرًا في خطابهِ الذي القاه في برمانا قبل سفرهِ حيث قال في المصلحين الجدد اي « البنائين الماسون اخوتهِ » (ص ١٠٧) :

« مصيبة هذا الجيل العزيز في امثال اولئك البنّائين المحترمين الذين يناهضون الاكليروس يومًا ويومًا يتزلّفون اليهِ ليسلبوهُ النفوذ والسيادة . كنّا في الماضي نقول انّ بلاءنا من الاكليروس واما اليوم فيا ما أُحيلَ الاكليروس الى جانب هؤلاء الذوات المصلحين . سكيت الاكليروس اللبناني ! صرخة واحدة امدتهُ وكأني بالبنّائين والمصلحين يصرخون اليوم في وجوهنا قائلين : اشلح تربح . هذه حال الاكليروس اليوم وحال المصلحين »

وكان الاولى بك يا ريحانيّ أن تقرّ بذنبك وتستغفر الله والناس عن كتاباتك التي نجّستَ فيها الف مرّة شأن الاكليروس وتحاملت عليهِ زورًا

٢ ﴿ التعليم اللاديني ﴾ يطرى الريحاني في امكنة عديدة من كتابهِ التعليم اللاديني فيجدهُ انجع دواء لاصلاح الهيئة الاجتماعية وتوحيد العناصر قال اصلحهُ الله (ص ١٦٨) :

« سيّان عندي ان كانت الحكومة فرديّة استبدادية او حرّة نيابية ان لم تُباشر الحكومة في

تدمير حصون الجهل اذا يعود الجهل فيدمّر حصون الحكومة . ولا يتم لها ذلك الا في تأسيس المدارس العمومية الوطنية مجرَّدةً من كلّ صبغة دينية (كذا) حيث اولاد المسلمين والمسيحيين واليهود والدهريين يتلقّنون كلهم العلوم على استاذ مدني واحد وتحت سقف واحد ومن كتاب واحد وعلى طريقة وطنية واحدة »

هذا الدواء اقبح من الداء ! راجع مقالتينا السابقتين في المدارس اللادينية (ص ٦٢٠ و٦٦٠) ففيهما تفنيد قول الكاتب لا بل هو يفنّد نفسهُ في محلٍ آخر حيث قال (ص ١٠٦) عن المدارس الدينية البروتستانية :

« لا يصلح حالنا ادبياً ودينياً غير المدارس الاعدادية العالية الوطنية والتربية الاميركية المتينة »

فكيف سها عن ذلك او كيف نسي فضل معلميه الكاثوليكيين الذين ربّوهُ وعلّموهُ مجاناً . وها هوذا يدعونا الى آداب المدارس اللادينية التي عرّفها بعضهم تعريفاً حسناً فسمّاها « آداب البراليع »

٣ ﴿ التساهل الديني ﴾ جدد الريحاني في هذا القسم من الريحانيات (١١٣—١٤٠) طبع كرّاسة كان نشرها في اميركة ضمّنها مبادئ الزنادقة القائلين بمساواة كلّ الاديان واختراعها البشري فبيّن بتكرار طبعها ما هو عليه من قلّة الدين . ومن اراد الوقوف على كذبهِ فليراجع مقالتنا التي نشرناها في المشرق عن هذا التساهل المزعوم (١٢ : ٢٠٥—٢١٥) حيث أزلنا كل التباس في ذلك

٤ ﴿ روح الثورة ﴾ هذا الترياق الاخير الذي اعدّهُ الريحاني لاصلاح حالتنا فانّهُ يكرّر غير مرّة مديح الثورة ولا يكتفي بالانقلاب السياسي بل يطلب الثورة الروحية (ص ٣٧—٣٩) والحرّية التامّة اي ان يكون الانسان مطلقاً من « القيود العائلية والاجتماعية والدينية والسياسية » ويعظّم رجال الثورة « فولتير وروسو وديدرو .. وماكوبين وكالفين ولوثيروس » ويدعو الى الاقتداء بالثورة الفرنسوية . هذا واشياء غيرها تدلّ صريحاً على ان روح الثورة اعمى بصيرة الريحاني فقام بيننا كالرسول الداعي اليها . فبئس الاصلاح اصلاحك يا جاهل وساءت أدويتك ولو استنرت بنور عقلك ونور ايمانك الذي رضعتهُ مع الحليب لتجلّى لك الحق وهديتَ اليهِ غيرك فارجع كابن الشاطر الى بيت ابيك تشبع من خبز الحقيقة الذي فقدتهُ بابتعادك عن مصدر كلّ نور وحق !

مطبوعات شرقية جديدة

J. Guibert, Supérieur du séminaire de l'Institut Cath. de Paris: I. A l'Entrée de la Vie. in-12, 200 pp. = II. Le Caractère. pp. 250 = III. La piété. pp. 390 = IV. La Bonté. pp. 194 *Paris. ancienne librairie Poussielgue (J. de Gigord). rue Cassette* 15,

تآليف ادبية لترويض الشبيبة

مؤلف هذه الكتب الاربعة قضى قسماً من حياتهِ في تهذيب الشبّان فيعرف حق المعرفة اخلاقهم وسجاياهم واحسن طريقة لاكتساب ثقتهم. فتراهم يتهافتون على كتبهِ الادبية تهافت العطاش على مناهل المياه. والدليل على ذلك رواج كتبهِ بين الناشئة وتكرار طبعها. وليست هذه المصنّفات بليغة الانشاء فقط لكنّها طليبة الزبدة وافرة المعاني تجمع بين اللذّة والافادة فاذا باشر القارئ بمطالعتها لا يطبق الكتاب حتى ينتهي الى آخر صفحاته. ففي كتابهِ المعنون « مدخل الحياة » يتعلّم الشاب كيف يتصرَّف مع كل الذين يحدقون بهِ من اهل واقارب ورفقة وكيف ينظّم حياتهُ ليستفيد منها ويفيد غيرهُ. وفي كتابهِ المعنون « بالخُلق » يجد ما يستعين بهِ لترويض خلقهِ وتربيتهِ بالصفات التي تؤهلهُ لكل الاعمال الشريفة. وقس عليهِ بقيَّة الكتب التي تؤدي بالشبّان الى القيام بدعوتهم في الهيئة الاجتماعية وعليهم المعوَّل قريباً في سياسة اوطانهم ورفع منارها. فنحضُّ كل ارباب المدارس على نشر هذه الكتب بين طلبتهم فانها من افضل ما يوضع في ايدي الاحداث من التآليف الادبيَّة ل. ر

J. Leday: Les Sciences pour tous. Initiation à la Chimie - la Physique - la Géologie etc., in 12. pp. VIII - 392. 2 fr. *Ibidem*.

العلوم العامَّة

لا يزال نطاق العلوم يتسع يوماً بعد يوم فاضطرَّت وزارات المعارف في كلّ البلاد الى ان تفرض على الدارسين موادَّ جديدة يصعب عليهم تلقُّنها ان لم يباشروا بدرسها منذ حداثة سنّهم فيزينون عقولهم باصول تلك العلوم قبل ان يتفرَّغوا بعدئذٍ لاحراز فروعها وشُعبها. فلادراك هذه الغاية قد وضع المسيو لوداي كتاباً جامعاً ضمَّنهُ في نحو ٤٠٠ صفحة مبادئ كل العلوم المستحدثة كالكيميا والطبيعيَّات وعلم طبقات الارض وعلم

الصحّة واتّقاء الامراض الوبئية وتركيب الموادّ الصناعية . وغير ذلك مما يصلح خصوصاً لطلبة المدارس الشرقية ذكورها واناثها . وهذا الكتاب بخس الثمن مع وفرة ما يتضمّنهُ من الابحاث في كل باب من ابواب العلوم المستحدثة
ل . ر

The Dîwân of Ḥassân B. Thâbit, edited by **Hartwig Hirschfeld** Ph. D. (Printed for the Trustees of the « E. J. W. GIBB MEMORIAL ») *London, Luzac and Co.*, 1910. pp. 124-02

ديوان حسّان بن ثابت

حسّان بن ثابت اوّل شعراء الاسلام عاش زمناً طويلاً في الجاهلية وطالت مدّتهُ فبلغ عهد بني امية . كان شعرهُ متفرّقاً فجمعهُ محمَّد بن حبيب وهذَّبهُ تلميذهُ ابو سعيد السكّري . وقد نُشر ديوانهُ بالطبع اوّلاً في تونس وفي المطبعة الحمديّة سنة ١٢٨١ (١٨٦٤) ثم طُبع في مصر الّا انَّ هذه الطبعات الشرقية قليلة الاتقان كثيرة الاغلاط خالية من المقدّمات والتفاسير المفيدة فقام العلّامة هرشفلد ووقف نفسهُ لهذا العمل حتى انجزهُ وهذه الطبعة مصدَّرة بعدّة فصول عرَّف فيها المتولي للعمل صاحب الديوان ومقامهُ بين الشعراء وخواصّ شعرهِ ثم وصف النسخ المخطوطة التي راجعها لضبط الديوان وهي اربعة في لندن وبرلين وباريس وبطرسبورج فروى القصائد مضبوطة بالشكل وزاد على ذلك ما وجدهُ من شعر حسّان متفرّقاً في كتب الادباء مع الروايات والملحوظات والافادات التاريخيّة واللغوية التي في كتب اللغة وتآليف الائمّة والحقهُ بفهرسين لأعلام الرجال ومعجم الامكنة حتى جاءت هذه الطبعة بمثمّة تُغني الطبعات السابقة فنشكر شركة « جب » التي أدخلت هذا الديوان في جملة مطبوعاتها الشرقية القائمة بنشرها
ل . ش

LE FONTI ARABICHE NEL DIALETTO SICILIANO. Vocabolario etimologico compilato dal **P. Gabriele Maria da Aleppo**, e dal suo allievo **C. M. Calvaruso**, Parte I, *Roma Loescher*, XXXII—442, 1910

الاصول العربية في اللغة الصقلّية

احتلّ العرب في القرون الوسطى شرقي اوربّة وجنوبها فاختلفت مدَّة ملكهم في تلك الانحاء . واثّروا في عادات اهلها ولغاتهم على حسب طول اقامتهم بينهم . وقد بقيت صقلية تحت حكم العرب نيّفاً ومائتي سنة حتى خلفهم عليها النرمنديّون في

اواسط القرن الحادي عشر الّا انّ كثيرين من المسلمين اخلدوا بعد ذلك الى الجزيرة وتعاطوا فيها اعمال التجارة والفلاحة كما شهد عليه ابن جبير الاندلسي في رحلته الى صقلّية. ولا غروَ انّ اولئك العرب خلّفوا من بعدهم عدَّة آثار منبئة بسكناهم ولاسيما في لغة اهل الجزيرة. وكان العلماء المستشرقون اشاروا سابقاً الى ذلك غير انّ حضرة وطنيّنا الغيور الاب جبرائيل كتيدر الكبوشي استاذ العربيّة في بالرمة رأى ان يفرد لهذا البحث كتاباً كاملًا فسعى بصحبة احد تلامذته الاديب كافاروسو ان يجمع الالفاظ العربية التي في اللغة الصقلّية وهي تناهز الالف لفظةً فرتّباها على طريقة المعجمات وانتقدا على اصولها المزعومة وبيّنا اصلها العربي او رجّحا عربيّتها بالشواهد والادلّة التي امكنهما. وقد وجدنا غالباً انتقادهما صحيحاً وبراهينهما مقنعة الّا في بعض الالفاظ التي رأينا بيّناتها ضعيفةً ولا يسعنا هنا انتقادها فندع لغيرنا النظر في صحّتها. وقد جاء الكتاب مؤلّفاً ضخماً حسن الطبع واسع الموادّ. وسوف يعقبه المؤلّفان بجزء آخر تتمّة لابحاثهما اللغويّة. ونحن نشكر حضرة الاب جبرائيل على هذه الخدمة الجليلة التي اداها مع تلميذه الى الآداب الشرقية ونتمنّى لكتابهما رواجا ل. ش

تاريخ

الكتاب المقدس

للعهدين القديم والجديد مزيّن ببعض التصاوير ترجمة الخوري اغوسطينوس موسى سركيس عن مؤلّف العلّامة الاب شوستر المقرّضة عليه الآباء اللعازريون الالمانيون طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٠ ص ٣٦١

ليس كتابٌ مدرسي كمنتخبات الاسفار المقدّسة لتهذيب الاحداث وتربية الشبيبة لأنّ في كلام الله من الخواصّ العامة في القلب المنيرة للذهن ما لا يقربُ منهُ كتاب آخر. وذلك ما كان قصدهُ الطيب الذكر الاب يوحنّا بلو اليسوعي بمنتخباته المدعوّة بالغصن النضير. ومما نال في هذه السنين الاخيرة شهرةً واسعة كتاب اختصرهُ الدكتور شوستر من اسفار العهدين القديم والحديث على طريقة مبتكرة تزيد الصغار شوقاً في

درسه فراج ايّ رواج في انحاء اوربة واثبتهُ نحو مئة من الاساقفة واثنى عليه الحبر الاعظم بيوس العاشر ببراءة خاصة. فهذا الكتاب تولّى ترجمتهُ الى العربية رئيس مدرسة الشرفة سيادة الخورفسقفوس موسى سركيس باياز الآباء اللعازريين في القدس الشريف وزادهُ حسنًا حضرة الاب يوسف علوان بضبط قسم منه بالشكل ومراجعة مسوّداتهِ. ومن مزايا الكتاب انهُ مزدان بعدة تصاوير جميلة استُعيرت من كتابينا الغصن النضير والقلادة الدرية. ومنها ايضًا انهُ قُسم اقسامًا مختلفة ومقاطيع متباينة الحروف فنها كبيرة الحرف مشكّلة ومنها بلا شكل ومنها بالحرف الاوسط و بعضها بالحرف الناعم الدقيق على حسب طبقات الدارسين واعمارهم من السنة السادسة الى الثانية عشرة فما فوق. فنوصي ارباب المدارس بهذا الكتاب فانهُ من افضل كتب التعليم لتخريج الناشئة المسيحيّة ل. ش

كتاب شركة العائلة المقدَّسة واخويتها

طُبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٠ (ص ٢٢٨)

انّ الاخطار المُلمّة بالعيال المسيحية المتهدّدة لايانها وسلامها حملت احد افاضل الآباء اليسوعيين المسمّى الاب فرنكو على انشاء شركة تصونها من الكفر والفساد الفاشيَيْن في عصرهِ فوضع لها قوانين سهلة مشتملة على فوائد روحية جمّة من شأنها ان تحيي الروح المسيحي وتغرس في قلوب الاولاد محبّة الامور الدينيّة منذ الصغر. فما لبثت الشركة المذكورة ان انتشرت في كل البلاد واثبتها السعيد الذكر البابا لاون الثالث عشر واغناها بالغفرانات والانعامات الروحيّة وحرّض رؤساء الكنائس وكافّة المؤمنين على تأييدها والانضمام اليها. وقد عرف غبطة ماري الياس بطرس الحويك بطريرك الطائفة المارونية ما في نشر هذه الشركة من الخيرات العمومية فحرّكتهُ غيرتهُ الرسولية على تأسيس اخويّة لها تُساعد على نشرها واثباتها لتصون في اهل لبنان روح التقوى وكنز الايمان. وقد أمر غبطتهُ فأُلّفت قوانين لهذه الاخويّة اثبتها بسلطانهِ البطريركي وها قد طبعت حديثًا في مطبعتنا الكاثوليكية. وقد أُضيفت الى هذه القوانين بعض تراتيل روحية وزياحات القربان الاقدس وقلب يسوع والعذراء ومار يوسف. وثمن الكتاب قرشان. وهو يباع في بيروت في مكتبتي الافنديين موسى و يوسف صفير. وفي جونية عند الآباء المرسلين اللبنانيين وفي جبيل في انطوش الرهبان اللبنانيين

ل. ش

كتاب سمير الليالي

الجزء الأول . اثر الاديب محمد امين صوفي السكري (الطبعة الثانية)

طبع بمطبعة الحضارة بطرابلس الشام سنة ١٣٢٧ (ص ١٩٨)

كان مؤلف هذا الكتاب طبعهُ طبعةً اولى سنة ١٣١٧ وجعلهُ عشرة اقسام ضمَّنها ادبيَّات شتى منها جغرافية ومنها تاريخية ومنها ادبية فراج كتابهُ حتى احتاج الى اعادة طبعهِ في السنة الجارية . وقد رأى جنابهُ ان يضيف الى الطبعة السابقة اضافات كثيرة اضطرَّتهُ الى ان يجعل تأليفهُ اجزاء متتابعة . فهذا الجزء الأول مدارهُ على جغرافية الممالك الاوربيَّة والدول الشرقية فيسرِّح الكاتب بنظرهِ في كل اقطار المعمور ويصف شيئاً من خواصها فيتنقَّل معهُ القارئ بسرعة ودون ملل من بلد الى بلد ومن قارة الى أُخرى حتى ينتهي من طوافهِ حول الارض بعد ٢٠٠ صفحة . فلا شك انَّ محبي الاسفار ووصف البلدان يجدون لذَّةً وافادة في هذا الكتاب . على أنَّنا لا نجزم بصحَّة كل ما يرويهِ المؤلف فانَّ بعض رواياتهِ ضعيفة او غير صحيحة كقولهِ (ص ١٩٣) انَّ ملديف تعرف عند الافرنج بجزائر الابار . وقولهِ (ص ٢٩٧) انَّ ديانة الاحباش مزيج من النصرانية واليهوديَّة والوثنية . وقوله (ص ٧٧) انَّ ارميا اخو اسماعيل . واغرب من ذلك ما نقل عن الشيخ محمد بيرم انَّ في خزانة الفاتيكان "نسخة من الانجيل باللغة الحميريَّة العربية مكتوبة قبل البعثة بنحو مئتي سنة ، ورد فيها ذكر محمد . فلو كان في رومية كتاب مثل هذا لعُدَّ من عجائب الدنيا وقد اطَّلعنا على مخطوطات الفاتيكان العربيَّة فما كان فاتنا اثر مثل هذا لو وُجد ل . ش

شذرات

﴿ ساسلة اساقفة صيدنايا ﴾ ارسل الينا حضرة الاب قسطنطين الباشا الملحوظات الآتية على مقالة الخوري كرلس شارون في اساقفة صيدنايا (ص ٥٧٠) قال:

اوَّلاً انّي يحرلي ان صيدنايا قامت مقام دانابا القديمة في مقالتي الفرنساويَّة التي اشار اليها حضرة الاب شارون قد استندتُ الى البطريرك مكاريوس الحلبي الذي يصلح

ان يعوّل عليه بالحكم في مثل هذه المسألة اكثر من سواه (* اذ كان من اكبر المنقبين عن تاريخ وجغرافيَّة البطركية الانطاكية وقد نقل ذلك عن تخشيكونات قديمة لا محالة وقد وقفت على بعضها كنسخة دير البلمند الراقي اصلها الى القرن الخامس عشر (١

ثانياً لا تصلح رسامة سمعان مطراناً على صيدنايا سنة ١٥٧٣ على ما ذهب اليه حضرته اعتمادًا على ما ورد في قائمة مخطوطات باريز مما يحتاج الى النظر في اصل المخطوطات الذي ورد فيه اسم سمعان وكنيسة مارونة اذ لا يوجد في جوار صيدنايا بلد بهذا الاسم ولعلّها تكون « معرونة » لانهُ على شهادة معاصرهِ وزميلهِ البطريرك مكاريوس بقي حيًا الى ما بعد سنة ١٦٣٥ (٢. ثم انهُ ورد في سجل دير البلمند بالاتفاق مع شهادة مكاريوس انَّ هذا الدير تجدَّد على يدهِ سنة ١٦٠٣ وكان اوَّل رئيس عليهِ بعد رئاستهِ مدَّةً على دير كفتون في بلاد البترون ومن دير البلمند انتدبهُ البطريرك دوروثاوس ابن الاحمر (١٦٠٤—١٦١٢) الى اسقفيَّة صيدنايا (٣

ثالثاً يجوميوس رسمهُ اسقفاً على صيدنايا البطريرك افتيميوس الصاقزي قبل انضمام صيدنايا الى قارا كما روى مكاريوس على ما ذكرتُ هناك ومن ثم يجب ان يكون قبل يواصاف. الّا ان حضرتهُ خالف ذلك وزاد عليهِ: اوَّلًا بانهُ دُعي هذا البطريرك افتيخيوس وادعى بان اسمهُ تصحَّف مرارًا. ثانيًا ان بطركيتهُ كانت قصيرة لم تتجاوز السنة. فلو راجع حضرته ما كتبتُ من هذا البطريرك فيما استدركتهُ عليهِ في سلسلة مطارنة صور في المشرق (٩: ٦٢٣) لَما سقط في هذا الخطاء. وبياناً لذلك نقول عن البطريرك مكاريوس انهُ سنة ١٦٣٤ انتُدب للبطركية ملاتيوس كرمة مطران حلب ودعي افتيميوس ومات اول يوم من سنة ١٦٣٥ وخلفه تلميذهُ ملاتيوس الصاقزي ودعي ايضاً افتيميوس باسم معلّمهِ واقام في البطركية ١٣ سنة الى ان خلفهُ مكاريوس الحلبي سنة ١٦٤٨ ومن ثم لم يكن حينئذٍ بطريرك باسم افتيخيوس او افتيشيوس كما نقل لوكيان واليه استند البعض بدون نظر

*) لا يعرف من امر دانابا الّا ما ذكرهُ بطلميوس في جغرافيَّتهِ انها كانت بين تدمر ودمشق (المشرق)
١) راجع جريدة المنار السنة الثالثة صفحة ١١٧
٢) المنار في المحل المذكور والنعمة السنة الاولى صفحة ٣٢٩
٣) المنار السنة الرابعة ص ١٣٢ ومجلة الكلمة في تاريخ دير البلمند

رابعاً. عجبت من نسبته لي باني قلت ان المطران ناوفيطوس نصري كان من رهبانيتنا المخلصيَّة وانما القائل بذلك هو المرحوم الخوري كيرلس حدَّاد في تاريخه في النسخة التي هي اليوم في دير المخلّص اذ يقول ان ناوفيطوس كان متحداً برهبنة المخلص ورُسم على صيدنايا بسعي المطران اثناسيوس الصيفي. ولا اعلم كيف نُسب ذلك اليَّ. على اني كنت انكرت في المشرق كون المطران ناوفيطوس من الرهبانية الحناويَّة قبل نشر ترجمة حياته بقلم احد افراد الرهبانية المذكورة اعتماداً على ان سجلات هذه الرهبانية وتواريخها لم تصرّح بذلك. اما الآن فقد زادتنا بياناً ترجمة هذا البار بانهُ كان من رهبان دير البلمند الكاثوليك ورفيقاً ومتَّحداً بالعزم والايمان والوطن مع رهبان هذا الدير الحلبيين الذين هجروهُ وأسسوا دير الصايغ (لا أُرسل هو ليباشر رسالة ديار بكر) وبهذا الاعتبار يصلح ان يعد مع الرهبان الحلبيين الذين ينتسبون الى الدير المذكور كما عدهُ السمعاني في مقدَّمة كتاب الفرائض بين الاساقفة الذين تفتخر بهم هذه الرهبانيَّة المباركة

الطير القواطع — كنَّا كتبنا لاحد اصدقائنا في بودابست الدكتور غلدتسيهر (Dr J. Goldziher) ليفيدنا شيئاً عن الطائر الذي وجد في معاولا (راجع المشرق ٥٥٩) وفي رجلهِ اسوار عدده ١٦٧٦ مع كتابة من بودابست عاصمة المجر. فاجابنا حضرته كما افاد حضرة الخوري اوغسطينوس سردي من القدس (ص ٦٣٧) ان الطائر المذكور هو احد اللقالق الذي أطلقهُ المسيو اوتو هرمان رئيس جمعية الطير المنشأة في بودابست سنة ١٨٩٨ وانَّ العدد ليس هو تاريخ سنة بل عدداً ترتيبياً لضبط الطيور. اما طائر معاولا فكان اطلاقهُ في ٢١ حزيران سنة ١٩٠٩ من مدينة تيتاتليا (Tétetlea) في كُنتيَّة باكس (Bács) في المجر. فنكرّر شكرنا لمن اتونا بالافادة ونحضّ اهل الوطن على اقتداء آثار الاوربيين في اهتمامهم بالعلوم الطبيعية

مجلَّة النعمة والرئاسة البطرسية. — رأت مجلَّة النعمة الأرثذكسيَّة انَّ نكرانها لوحي الاسفار الثانويَّة المقدَّسة لم يجدها نفعاً بتفنيد المشرق لزعمها الباطل وها قد انتقلت مؤخَّراً الى مبحث آخر فاستأنفت الحملة على رئاسة مار بطرس هامة الرسل. ونحن لا نأبى جدالها في هذا الباب ايضاً لكنَّنا نشترط عليها ثلاثة شروط:

الأول حصر الجدال في مطالب معلومة لا يُحاد عنها الّا بعد حلّها تاماً . الثاني تعيين لجنة مُشكّلة من اشخاص خالين من الغرض يحكمون في ادلّة الفريقين . والثالث الحياد عن كل كلمة مخلّة بالآداب او ماسّة للشخصيات . فان رضيت بذلـك فنحن مستعدّون لباحثتها ويكفينا الآن لردّ مزاعمها ان نحيلها الى مقالتين اصدرناهما في المشرق (٥ : ٧٦ و١٢٣) عن رأي القديس يوحنا فم الذهب في رئاسة بطرس وخلفائه على الكنيسة الجامعة

جمجمة الماسونيّة — يعلم الله أنّا لم نتعرّض للماسونيّة الّا لوقوفنا على سوء غاياتها واتّفاق اصحابها لا سيا زعمائها المتسترين بالظلمة على نقض اركان الدين والسلطة معاً . وقد اعلنّا غير مرّة بأنّا مستعدّون لاقرارنا بغلطنا اذا ما بيّن لنا احد خطأنا في نقلنا الشواهد العديدة المثبتة بآثام الشيع السرّية وحتى الآن لم نجد بين الماسون احداً نبس ببنت شفة . لكنّهم نشروا بعض الوُرَيقات بلا توقيع ولا ذكر مطبعة يسبّون فيها « الجزويت » الذئاب الخاطفة المحتجبين تحت ثياب الحملان ويطرون الماسون وشيعتهم منبع كلّ برّ وصلاح . وقد اتانا بعضهم بدلائل واضحة على صلاحهم بأن ارسلوا لنا الكتابات التهديديّة و« القنابل » القريبة الانفجار . فوجدنا في هذه التهديدات حجّة ساطعة على أنّنا اصبنا المرمى وانّ الماسونية شعرت بانهتاك سترهـا . فعسى ان يفتح كلامنا اعين الذين خُدعوا ببهرجة الشيعة ودخلوها دون تروٍّ وهم لا يعلمون ما في زواياها من الخبايا فيسرعون الى تقيّئ السمّ قبل ان يسري الى جسمهم فيقتلهم لا محالة

جمعيّة الجيش الابيض — اوقفنا الثقة على كاتب اللائحة التي رسمناها في عددنا السابق (ص ٦٠٠) الصادرة عن « جمعيّة الجيش الابيض » في ريو دي جانيرو . هذه اللائحة لاحد الماسون السوريين المهاجرين الى البرازيل اسمه جورج حدّاد وهو رجل مشهور بكفره وسيّئاته يقرب المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي وقد نقم على ابن اخيه الشيخ حبيب لدخوله في مدرسة الصلاحية في القدس الشريف فاختلق الكتابات المزوّرة وجعلها باسم الجمعيات السرّية لعلّه يثني المذكور عن عزمه فخاب امله . وقد ظنّ انّ لنا يداً في دعوة الشيخ المذكور فوجّه الينا تلك اللائحة التي نسب الينا فيها قتل الاثيم فريرو وتسميم الشيخ ابراهيم اليـازجي وتهريب ابن اخيه . وقد قابلنا بين كتابة اللائحة المذكورة ولوائح أخرى وجهها المشعوذ ج . حدّاد الى اعدائه فاذا هي شبيهة بالانشاء والخطّ والتلفيقات . وله سوابق أخرى تدلّ على سوء سيرته

وقبح سريرته لا حاجة الى ذكرها هنا. وفي هذا الكناية لتعريف ذاك البطل الماسوني وتبرئة ساحة الشيخ حبيب من التُّهم التي قرَّعهُ بها

هكل والمقتطف اخذنا العجب مما كتبهُ امين افندي المعلوف في عدد اوغست من المقتطف (ص ٧٢٥–٧٢٨) تحت عنوان الاستاذ « هيكل وتهمة التزوير » وغاية الكاتب ان يبيّن ان ما نُسب من التزوير لهكل لا صحّة له وانّهُ محض اختلاق من رجال الدين الكاثوليكي والبروتستاني. ثم وعد بانهُ ينشر في العدد القادم شيئاً من جواب هكل. فنجيب انَّ حادث الدكتور هكل ليس هو جدالًا دينيًّا بين كافر ومؤمن وانما هو فقط مبحث علمي افتضح فيهِ هكل بإزاء كل اهل العلم ولم يجد لتفنيد مناظرهِ دنّرت (Dennert) وتوت (Teudt) وبراس (Brass) سوى السبّ والشتم على مألوف عادة المغلوبين. فلما رأى هؤلاء انَّ هكل لا يجيب على ما نسبوهُ اليهِ من التزوير الفاحش كتبوا لأكبر علماء الالمانية وطلبوا منهم ان يفحصوا كتابات هكل ويعرضوا صورهُ المزوَّرة على هياكل اجنَّة صحيحة فاجاب ١٥ من ائمّة علماء المانية وكلُّهم اقرُّوا بتزوير الاستاذ هكل. ثمَّ خاف بقية العلماء الدافعين عن النشوء ان يكون عمل هكل قاضياً على مذهبهم فكتبوا لائحة نشروها في كل المانية ورذلوا عمل الاستاذ هكل لكنّهم اعلنوا بانهم لا يعدلون عن رأيهم في مذهب النشوء. وناهيك ما كتب عن هكل شيخ فلاسفة الالمان في ليبسيك الدكتور وندت (D^r Wundt): « انَّ كتابات هكل الدالَّة على بعض مظاهر العلوم العصريَّة تعيدنا القهقرى الى ازمنة الظلمة حيث لم يوضع بعد فنّ المنطق وكانت العلوم الوضعية في مهدها » . فيا لها من ضربة قاضية على هكل فننتظر بعد هذا الحكم مقالة المقتطف لنرى كيف امين افندي يبيّض هذا الاسود

ثمَّ ننتهز هذه الفرصة لنعلم قرَّاءنا بان الراهب الفرنسيسكاني يوسف كاب الذي نقل عنهُ المقتبس (راجع المشرق ٤٧٨) فصل « تراجع الكثلكة » فرددنا عليهِ هو (على ما افادنا المقتطف ص ٧٢٧) « المستر مكاب » الذي جحد الرهبانيَّة والكثلكة وتزوَّج سفاحاً وكفى بذلك دليلًا على صدقهِ في مناهضتهِ للدين الكاثوليكي. فما كان احرى بمجلَّة المقتبس ان تتحاشى عن ذكرهِ !

رحلة علمية الى الحجاز طلب حضرة الابوين الدومنيكانيين

جوسّن (Jaussen) وساڤينياك (Savigniac) من الحكومة السنية بواسطة سعادة سفير فرنسة في الاستانة ان يُسمح لهما بالسفر على سكة حديد الحجاز الى قريتي العلا، وحربة لينقلا ما فيها من الآثار القديمة السابقة للاسلام فاجابت الحكومة الى رغبة السفير ورحل الابوان في الربيع الماضي الى حيث قصدا ومع ما وجدا هنالك من الصعوبات امكنهما ان يرسما ١٦٠ كتابة حجرية في اللغتين المينوية واللحيانية، واخذا عدَّة تصاوير فوتغرافية ورسوماً شتَّى ورقبا عادات الاهلين وابتاعا نقوداً عادية مختلفة.

ومما ورد في الكتابات المذكورة اسم مدينة دَدَن فيرّجح الرحالان انها المدينة المشار اليها في التوراة في سفر التكوين (٧:١٠) في سفر الأيام الاول (٩:١). وكان حضرة الابوين رحلا قبلًا في العام الماضي الى مدائن صالح فجمعا منها آثار عديدة نشراها في كتاب مستقل اثنى عليه العلماء بصوت واحد

اسئلة واجوبة

س سأَلنا مستفيد بنبة كلامنا عن الطائر الطويل العمر ما هي اطول الحيوانات عمرًا؟

اطول الحيوانات عمرًا

ج يقال انَّ اطول الحيوانات عمرًا بين ذوي الاربع الفيل فانَّ معدَّل سنّه مئة سنة ومئة البيغاء بين الطيور والحنش (esturgeon) والشَّبوط (carpe) بين الاسماك والسلحفاة وبعض الحيَّات بين الزحافات فكلها تبلغ المئة سنةً. ودونها عمرًا الغراب الذي يعيش ٨٠ سنة. اما الأفاعي والهدهد والعقاب فتعيش من ٣٠ الى ٤٠ سنة

س سأل الاديب ل. ج من الاسكندرية كم هو عدد اليهود في العالم؟

عدد اليهود

ج يقال انَّ عدد اليهود في مبدئنا كاد يتجاوز عددهم في أيام عزّهم في زمن سليمان فهم اليوم احد عشر مليونًا بنيف قليل منهم في اوربّة نحو ٩,٠٠٠,٠٠٠ وفي اميركة مليون وستون الفًا والباقون في آسية وافريقية. واكثر الاسرائيليين في روسية حيث يبلغ عددهم حسب الاحصاء الاخير ٥,٨٧١,٠٠٠ ثمَّ في النمسة والمجر يبلغون ٢,٢١٠,٠٠٠ ثم الولايات المتحدة ١,٠٥٠,٠٠٠ وهم في المانية ٦٢٠,٠٠٠ وفي تركيا ٤٨٠,٠٠٠ وفي بريطانية العظمى ١٨١,٠٠٠ ولا يزيدون في فرنسة على ٥٩,٠٠٠ وفي مصر على ١٥,٠٠٠

ل. ش